

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الهوية في الشعر الجزائري المعاصر
(الإسلام والعروبة والأمازيغية)
ديوان " قلب وحجر " لعمر بن باحمد هيبه نموذجا

مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

أ. د. يحيى بن بهون حاج امحمد

إعداد الطالبان:

● بودية ريم

● رودي كريمة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. حمودة مصطفى	أستاذ محاضر	رئيساً
أ.د. يحيى بن بهون حاج امحمد	أستاذ محاضر	مشرفاً
د. محمد مدور	أستاذ محاضر	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1441 - 1442 هـ / 2019 - 2020 م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الهوية في الشعر الجزائري المعاصر
(الإسلام والعروبة والأمازيغية)
ديوان " قلب وحجر " لعمر بن باحمد هيبه نموذجاً

مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

أ. د يحيى بن بهون حاج امحمد

إعداد الطالبتان:

● بودية ريم

● رودي كريمة

لجنة المناقشة		
الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. حمودة مصطفى	أستاذ محاضر	رئيساً
أ.د. يحيى بن بهون حاج امحمد	أستاذ محاضر	مشرفاً
د. محمد مدور	أستاذ محاضر	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1441 - 1442 هـ / 2019 - 2020 م.

إهداء

نهدي ثمرة جهدنا المتواضع

إلى من قال فيهما المولى عز وجل:

بن ﷺ وبالوالدين إحسانا ٨٥.

إلى كل أفراد عائلتنا كبيرها وصغيرها.

إلى كل صديقاتنا، زملائنا.

وصغيرها

إلى جميع صديقاتنا زملائنا.

الملخص:

مر الشعر الجزائري المعاصر بمراحل ساهمت في بلورة ملامحه شكلا ومضمونا، وكان من بين ما دفع سير عجلته للأمام، إلحاح وسعي الشعراء الجزائريون المعاصرون في أشعارهم على حق ممارسة الهوية الوطنية لرد الاعتبار وإبراز انتمائهم وولاءهم لهذا الوطن وتعويضاً لما كان قبل الاستقلال وشاعرنا كغيره من هؤلاء الشعراء الغيورين على وطنهم ومقوماته الأساسية اتخذ من شعره رسالة نبيلة للدعوة إلى بعث الروح القومية العربية وإرساء معالمها ونبذ كل من يحاول الطعن وفك وحدة هذا الشعب، فوحدته تكمن في أصله الأمازيغي الممتد لآلاف السنين الذي لا يخفى على أحد، واعتناقه وتبنيه للدين الإسلامي الذي وحد هو الآخر لسانه وعقيدته، انتهاءً بعيشه في رقعة جغرافية واحدة، فإن المساس بأحد عناصر هذا الثالوث الهوياتي أو إقصاء إحداها يمس بأمن و كيان الدولة الجزائرية وسلامة شعبها.

Abstract

Contemporary Algerian poetry has gone through stages that contributed in clarifying its features in form and content. Among things that pushed its wheel forward were the insistence and endeavor of contemporary Algerian poets in their poetry on the right to exercise the national identity in order to restore respect and to highlight their affiliation and loyalty to this country and compensation for what was before independence.

Our poet like those jealous poets of their homeland and its basic components, he used his poetry as a noble message of advocacy in reviving the Arabic national spirit and establishing its features and rejecting everyone who tries to challenge and deconstruct the unity of this people.

Its unity lies in its Amazigh origin extending for thousands of years, which is hidden from no one, and his embrace and adoption of the Islamic religion, which also united his language and belief , ending with his living in a single geographical area, so touching one of the elements of this identity triad or excluding one of them harms the security and entity of the Algerian state and the safety of its people.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

كل شعب تميز بهوية خاصة تفرد بها والتي تحدد انتماءاته القومية والحضارية، وكذلك هو الشعب الجزائري تميز بهويته الإسلامية العربية الأمازيغية، فهذا الشعب تميز بأصوله الأمازيغية فالأمازيغ كما أثبتته الكتب التاريخية فهم السكان الأصليون لشمال إفريقيا، وبمجيء الإسلام مع الفتوحات الإسلامية، استعرب جزء من الأمازيغ بتبنيهم اللغة العربية لغة القرآن والدين الإسلامي وبقي الجزء الآخر متحفظا بلغته الأمازيغية، ورغم الأطماع الاستعمارية المتكررة فقد تمكن الشعب الجزائري من الصمود وتصدى لمختلف السياسات الهادفة للقضاء على هويته الثقافية واللغوية والحضارية، خاصة فترة الاستعمار الفرنسي فقد عمل هذا الأخير وبمختلف الطرق والوسائل منتجاً سياسة التفريق لبث النزاعات وإحاكة المؤامرات ضد الشعب الجزائري، بتشكيك في مقومات ثلوث الهوية الوطنية الخاصة به.

لقد تعمد الشعراء الجزائريين المعاصرين الإلحاح في ممارسة العروبة والإسلام والأمازيغية في خطاباتهم الأدبية والشعرية تعويضا لما كان قبل الاستقلال، فقد سلبت السلطات الفرنسية وحرمته حق ممارسة هويته.

وتكمن أهمية الموضوع باعتبار موضوع الهوية الوطنية الجزائرية قضية حساسة، ومدى وارتباطها بالخطاب الشعري الجزائري المعاصر وكما ويعتبر الموضوع من أهم المواضيع المطروحة في الساحة الجزائرية والأكثر إثارة للجدل، وما تلقاه قضية الهوية الوطنية من اهتمام متزايد في علاقتها بالشعر الجزائري، لأن المساس بالهوية الوطنية يعني المساس بكيان الدولة الجزائرية بحد ذاتها، ولهذا يمكن اعتبار الموضوع ذا أهمية كبيرة، ومنه يتبادر إلينا طرح الإشكالية التالية:

- فيما تتجلى مظاهر الهوية في الشعر الجزائري المعاصر عند عمر بن باحمد هيبه؟

فرضيات الدراسة:

يعد كل من المقومات المكونة للهوية الجزائرية العروبة والإسلام والأمازيغية تهديدا لتحقيق الأمن في الجزائر، فكلما كان التوافق بين أبعاد ثلوث الهوية الوطنية الجزائرية دون استثناء بعد من أبعادها، كلما زاد من تكريس السلام ووحدة الشعب الجزائري.

أسباب اختيار الموضوع:

تتخصر مبررات اختيار الموضوع في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أ/. الأسباب الذاتية:

قد تم اختيارنا لهذا الموضوع لقناعات ذاتية عميقة بأن موضوع الهوية الوطنية يهدد أمن الدولة الجزائرية في حالات كثيرة، فالموضوع من دون شك ينال اهتمام كل شخص غيور على وطنه وانتمائه الحضاري والتاريخي ووحدة شعبه بغض النظر عن كونه أمازيغيا أو عربيا أو مستعربا، أيضاً بدافع فضول علمي و كيف أن للشعر الجزائري المعاصر قوة في التأثير والتغيير، فهو بمثابة رسالة ودعوة من قبل الشعراء لترسيخ مقومات الهوية الوطنية في نفوس الأجيال القادمة.

ب/. الأسباب الموضوعية:

فالموضوع يدخل في صميم الدراسات والأبحاث التي يجب التطرق إليها في تخصصنا والخوض فيها لتبيان وترسيخ معالم الهوية الوطنية انطلاقا من الشعر الجزائري المعاصر.

أهداف الدراسة:

إبراز مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية والدور الذي قام به الشعر الجزائري المعاصر ومدى مساهمة الشعراء في السعي والدعوة لترسيخ وتثبيت حس الانتماء بمقومات الهوية الوطنية الجزائرية في

مختلف ربوع القطر الجزائري بشكل واضح، وفي الإلحاح على حق ممارسة العروبة والأمازيغية والانتماء الإسلامي، واستحالة تجزئة ثلوث الهوية لأنه يهدد تماسك وحدة الهوية الوطنية الجزائرية.

منهج الدراسة:

ونظرا لطبيعة الموضوع اعتمدنا على المنهج التحليلي أساسا حيث تناولت الدراسة تجليات كل من الإسلام والعروبة والأمازيغية في الديوان الشعري للأديب عمر بن باحمد هيبه " قلب وحجر " فطبيعة الموضوع تقتضي الاستعانة بالتحليل في شرح وتحليل القصائد الشعرية.

إضافة إلى الخلفية التاريخية لأجل فهم تشكل ملامح الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية كعينة وكذا إبراز معالم الهوية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر فلا بد من الاطلاع على الأحداث الماضية، ذلك أنه لا يمكن دراسة ظاهرة ما بعزلها عن ماضيها.

الدراسات السابقة:

يقدم هذا الموضوع تجليات الهوية في الشعر الجزائري المعاصر (الإسلام والعروبة والأمازيغية) في ديوان " قلب وحجر " وقد أخذ بعدا واسعا وأهمية كبيرة وخاصة لدى الباحثين الجزائريين، ومن بين هذه الدراسات:

- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

تناول الكتاب الظروف التاريخية والسياسية التي ساهمت بشكل أو بآخر في بلورت ملامح الشعر الجزائري وتطرقة لاتجاهاته وأهم الخصائص والسمات التي تميز بها كل اتجاه عن الآخر.

- مسعود خرازي، منجز الشعر المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية، مجلة الذاكرة، العدد الخامس، جامعة غرداية.

- محمد ميوريج، الدلالة الصوتية في ديوان " قلب وحجر" للشاعر عمر هيبه، مذكرة لنيل شهادة
الماجستير، تخصص تعليمية اللغة العربية 2018/2017م، جامعة أدرار أحمد دراية.

تناولت هذه المذكرة دراسة الدلالات الصوتية في بعض قصائد ديوان "قلب وحجر" وكشفت عن
خصائص وميزات تميز وتفرد خطاب الشعري لشاعرنا عمر بن باحمد هيبه.

- عثمان سعدي، البربر الأمازيغ عرب عارية ، دار الأمة، الجزائر

تناول الكتاب محطات عن تاريخ القضية الأمازيغية في شمال إفريقيا بمختلف التفاصيل لأهم
الأحداث منذ التاريخ القديم واعتناق الأمازيغ الإسلام وعن جذور النزعة الأمازيغية في الجزائر.

ولقد راعينا في هيكله الموضوع تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيد حيث تعرضنا فيه إلى نبذة عن منطقة
غرداية وعن الشعر الجزائري المعاصر بالمنطقة وتحديد مفهوم الخطاب والهوية، ثم تلاه مبحثان تناولنا
في الأول ثلاثة مطالب في المطلب الأول: تعريف بالشاعر عمر بن باحمد هيبه، ثم في المطلب الثاني:
أهم إنجازاته ومؤلفاته، ثم المطلب الثالث : والذي ضمن قراءة في الديوان " قلب وحجر"، أما المبحث
الثاني: عن تجليات الإسلام والعروبة والأمازيغية في ديوان "قلب وحجر" وضم كل مطلب مقوم من
مقومات الهوية الوطنية، ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع منها المصدر
الأساسي ديوان الشاعر قلب وحجر والشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية لمحمد ناصر،
والمنجز الشعري المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية لمسعود خرازي، وأنهينا البحث بخاتمة تضمنتها أهم
النتائج العلمية التي توصلنا إليها.

صعوبات الدراسة:

خلال انجازنا لهذه الدراسة واجهتنا مجموعة من الصعوبات لعل أهمها:

- ✓ صعوبة الإلمام بالموضوع.
- ✓ عدم التحكم في المادة العلمية.
- ✓ صعوبة الحصول على المصادر المتخصصة في الموضوع.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية

الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية:

لمحة عن منطقة غرداية:

مدينة غرداية ولاية جزائرية تقع في منطقة صحراوية شمالي صحراء الجزائر على بعد 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة، وتبلغ مساحتها 86105 كلم، بطول 450 كلم من الشمال إلى الجنوب، وعرض يتراوح بين 200 و 250 كلم من الشرق إلى الغرب، تحدها شمالا ولايتا الجلفة والأغواط، ومن الغرب ولايتا البيض وأدرار، وشرقا ولاية ورقلة ومن الجنوب ولاية تمنراست، وترتفع غرداية 486 م عن سطح البحر، ومناخها صحراوي جاف، المدى الحراري بها واسع بين النهار والليل، وبين الشتاء والصيف ويعتدل الجو في فصلي الربيع والخريف، وتكون السماء صافية في غالب أيام السنة، ويبلغ معدل سقوط الأمطار بالولاية حوالي 60 ملم/سنويا وغالبها في فصل الشتاء، كما تهب على المنطقة رياح شمالية غربية باردة في الشتاء وجنوبية غربية محملة بالرمال في الربيع وفي الصيف جنوبية حارة.

تعرف غرداية بعمرانها وقصورها المتعددة منها قصر غرداية، وبنورة، وبنو يزقن، والقرارة وبريان، وتجنينت (العطف حاليا)، ومليكة، وصنفت منظمة اليونسكو قصور سهل وادي ميزاب الخمسة فقط ضمن التراث العالمي، وهي غرداية وبنورة والعطف ومليكة وبنو يزقن، التي تعود إلى القرن الحادي عشر، نظرا لمحافظةها على طابعها العمراني طيلة هذه القرون وعلى نظامها الاجتماعي، ورغم اختلاف هذه القصور في شكلها الهندسي فإنها تتشابه في طابعها العمراني، حيث يكون المسجد في مدخل المدينة وبعدها تأتي المنازل، وبنيت المنازل في قصور المنطقة مما يسمح للشمس بالدخول إليها، فهي مغلقة نحو الخارج ومفتوحة نحو الداخل والسماء من أجل الضوء والتهوية وفيها بضعة فضاءات، منها الفضاء المخصص للنساء وهو ما يسمى بـ "تيزفري"، وهو ضروري لكل بيوت بني مزاب.

تمثل حلقة العزابة السلطة الروحية في كل قصر من قصور غرداية، إذ تراقق هذه الحلقة المجتمع في أموره الدينية والاجتماعية، وتعنى بالمباني الدينية من المساجد والمصليات والمقابر والمدارس، والذي أنشأ هذه الحلقة هو أبو عبد الله محمد أبو بكر الفرستائي، وتتكون من 12 عضواً، منهم الإمام، والشيخ، والمؤذن، ومراقب الأوقاف، والغسالون ويجري تعيين الأعضاء واختيارهم حسب شروط محددة، إذ تتم متابعة الشخص لمدة سنة كاملة لتفقد سلوكه إن كان أهلاً للانضمام إلى العزابة.¹

الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية:

الأدب الجزائري ي هو كل منظوم ومنثور أنتجه أدياء الجزائر منذ نشوء الدولة الجزائرية الحديثة إلى يومنا هذا، ويتسليط الضوء على الأدب الجزائري المعاصر، الذي يقصد به الأدب الذي أنتج في العصر الحاضر سواء كان شعراً أم نثراً والمعاصرة من المعاصر وكلاهما من العصر، أي أن الشخص المعاصر ينتمي إلى العصر الذي نعيشه ونتفاعل فيه، والمعاصر بالمفهوم القديم هو الشاعر أو الحدث الذي يعاصر شاعراً أو حدثاً، وينبغي بالتالي أن يتميزا بصفات متشابهة، فالبحثري معاصر لأبي تمام، وابي فراس معاصر للمتنبى، كما أن الشعوبية عاصرت نكبة البرامكة.²

إن كل أدب جزائري أنتج خلال المرحلة الممتدة بين أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا يعد أدبا جزائريا معاصرا، ولقد مثل الشعر الجزائري المعاصر مرحلة جديدة في مسار التطور الأدبي الجزائري والعربي بشكل عام، حيث نلاحظ له تطورا على الصعيدين الموضوعي والفني، وذلك تبعا للتغيير الحاصل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلو اقع الاجتماعي الذي تغير تغيرا عاما فرض على الشعراء أن يكتبوا نصا جديدا.. نصا هو ابن المرحلة، وليس غريبا عنها، يؤسس ويجرب في الوقت نفسه، والشعر المعاصر لا يحدد من خلال الشكل فقط وإنما من خلال الشكل والمضمون معاً وهل يمكن أن يكون

¹ - غرداية حاضنة القصور التاريخية الجزيرة نت، <https://www.aljazeera> 12:31 /06/06/2020

² - محمد ملياني: «محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة ل م د السادس الخامس» تخصص دراسات أدبية، جامعة أبي بكر بالفايد، تلمسان الجزائر، (د، ت)، ص:3.

الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية

الشاعر إلا عصرياً؛ بيد ان هذا لا يمنع أن يعيش الشاعر عصره مشدوداً في الوقت ذاته بحبال عصور غربت من خلال ارتباطه بالماضي بحكم الثقافة التراثية¹.

إلا أن الشعر الجزائري عرف ضعفاً على غرار النثر حيث "إن الضعف والانحطاط الشعر الجزائري كان سائداً قبل ظهور الحركة الإصلاحية إنما كان نتيجة حتمية، لما كانت تعانیه الثقافة العربية الجزائرية من اضطهاد رهيب، بعضه راجع إلى العهد التركي، وأغلبه ناجم عن الاستعمار الفرنسي وسياسته الهادفة لتجريد الشعب الجزائري من هويته الثقافية العربية والإسلامية واستبدالها بثقافة فرنسية مسيحية"².

منطقة غرداية كركعة جزائرية هي أيضاً عرفت نوعاً من النشاط على مستوى الساحة الأدبية والشعرية منذ مطلع القرن العشرين إلى اليوم، إلا أنه يتفاوت من حيث فعاليته من فترة لأخرى. وعلى يد نخبة من الجيل المثقف الذين حرصوا على إحياء لغتهم والحفاظ على عقيدتهم الدينية الإسلامية وتمسكهم بالهوية الوطنية.³

أول ما نذكر في منطقة غرداية جهود قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش (1818م-1914م) الذي أثمر جهاده بإعداد جيل من الأدباء والشعراء والعلماء الذين واصلوا مسيرة التنوير تحت لواء الحركة الإصلاحية ابتداءً من سنة 1925م؛ التي تعتبر فاتحة التحديث الأدبي والإصلاحي في الجزائر؛ الذي ساهم بدوره في ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م؛ إذ كان لها دور بارز في تشكيل الوعي التحرري الذي امتد أثره بعد ذلك في مسيرة الجزائر الثقافية والتحررية وكان لبعض علماء غرداية المنضوين تحت لوائها دور بارز في تنوير الرأي العام كالشيخ أبي اليقظان،

¹ محمد ملياني: «محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة ل م د السداسي الخامس» تخصص دراسات أدبية، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان الجزائر، (د، ت)، ص:3.

² محمد ناصر: « الشعر الجزائري الحديث وخصائصه الفنية اتجاهاته»، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط2، ص:17،16.

³ مسعود خرازي: «منجز الشعر المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية»، مجلة الذاكرة، العدد 5 جامعة غرداية، (د.ت) ص:215.

الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية

والشيخ أبي بيوض، والشيخ عبد الرحمان بكلي، والشيخ سليمان بن داود ابن يوسف، كما وكان للصحافة دور لافت في بلورت هذا الوعي من جرائدها التي كانت الوجه الحقيقي لواقع الجزائريين، الرافضين لكل أشكال القهر والتخلف.¹

جريدة المنتقد: التي برزت إلى الوجود سنة 1925 والتي تعتبر بمثابة النادي الثقافي والأدبي الذي تجمعت فيه أقلام الشباب كتاباً وشعراء، فإليها يرجع الفضل في احتضان الأدب الناهض وقد استطاعة توجيه المواهب المنفتحة، وإطلاع الأدباء الجزائريين على ما يجري في عالم الأدب العربي من إنتاج جديد، وهي إلى جانب ما استطاعت أن توحد خطى الفئة المثقفة نحو هدف واحد، هو العمل جماعياً في سبيل إحياء الشخصية العربية الإسلامية.²

بفضل جريدة المنتقد فقد عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل ومن خلالها أخذ الشعر الجزائري نفساً جديداً، كما وراحت كل من جريدة الشهاب (1925) وصدى الصحراء (1925) ووادي ميزاب (1926) وصحف ابي اليقظان الثمانية وغيرها، حملت نفس فكرة المنتقد وسلكت نفس منهجها، "فوجد إنتاج غزير وظهرت في العشرينيات أسماء كثيرة لشعراء ساهمت في تغذية الشعر، وتؤيد الحركة الإصلاحية، وامتألت أعمدة الصحف بنماذج مختلفة من الشعر تتفاوت في الأسلوب وفي المحتوى.³

"كما لا نغفل الدور العربي والإسلامي الذي ما فتئ يسهم في دفع الجزائريين إلى التنوير والتحديث؛ كالدور التونسي من خلال جامع الزيتونة، ومدارسها، ونواديها الأدبية التي ضمت العديد من وفود الطلبة المزابيين، والدور المغربي من خلال جامع القرويين، والدور المصري من خلال الأزهر الشريف، مما أعد

¹ مسعود خرازي: «المنجز الشعر المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية»، نفسه، ص: 215.

² محمد ناصر: «الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية»، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط2، (د.ت)، ص: 29.

³ محمد ناصر: «الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية»، نفسه، ص: 30.

جيلاً رائداً من المصلحين والأدباء والشعراء والسياسيين من مختلف أنحاء القطر الجزائري، وكما كان للنوادي والمدارس الحرة والجمعيات الإصلاحية كجمعية الإصلاح بغرداية، وجمعية الحياة بالقرارة ودورها في إعداد الأجيال التي ستواصل مهمة تحرير الإنسان الجزائري من أشكال الهيمنة والتبعية والتغريب، وقد واكب الأدباء والشعراء الجزائر عامة ومنطقة غرداية خاصة، الأحداث وتفاعلوا معها، من أمثال الشاعر إبراهيم بن عيسى حمدي المعروف بأبي اليقظان (1888م-1973م) أحد تلاميذ القطب، وحمود بن ناصر الداغور المعروف بكروشي (1892م-1914م) والشيخ عبد الله محمد بوراس المعروف بالكامل (1904م-1984م)، ورمضان حمود (1906م-1929م) ومفدي زكريا (1908م-1977م) والشيخ محمد علان (المتوفى 1943م)، ومحمد بن إبراهيم الطرابلسي البرياني (1887م-1948م) وإبراهيم بن نوح متياز اليزجني (1885م-1981م) وعبد الرحمان بلقي المعروف بالبكري (1901م-1986م) وحمو محمد عيسى النوري (1914م-1992م) والحسن علي بن صالح القراري (1906م-1988م)، وأسماء أخرى قد لا يتسع المقام لذكرها، وقد أحصاها معجم أعلام الإباضية من خلال تراجمه لأكثر من ألف علم من أعلام المغرب الإسلامي، ويعتبر هؤلاء من الجيل الأول للشعراء الذين تركوا بصماتهم في الحركة الشعرية الجزائرية بالمنطقة، والتي تجاوز فيها البعض منطقتهم إلى الجزائر عامة، والذين حاولوا أن يكونوا صورة للمجتمع المحافظ الراض لكل أشكال التغريب شكلاً ومضموناً وامتد هذا التيار إلى شعراء آخرين أمثال صالح خرفي، ومحمد طيب بوعبدلي، وصالح خباشة، وقبل الحرب العالمية الثانية 1945م وأثناءها وما تلا ذلك. في وقائع مجازر 8 ماي 1945، إلى قبيل اندلاع الثورة التحريرية المباركة، والتي أفرزت واقعاً جديداً متمسماً بالتشاؤم بسبب التردّي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وقد ظهر ذلك جلياً في النصوص الشعرية؛ إذ "في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر أخذ الشعر على عاتقه الدعوة إلى الوحدة الشعبية والوطنية النقية، وإلى التحرر من الماضي البغيض".¹

¹ - مسعود خرازي: «المنجز الشعر المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية»، مجلة الذاكرة، العدد 5 جامعة غرداية، (د.ت)،

بعد أحداث 8 ماي والتفكير الجدي للجزائريين في الكفاح المسلح، ظهرت على الساحة الشعرية والأدبية بغرداية أسماء خلدت في تاريخ الجزائر الحديثة، كمفدي زكريا، وأبي اليقظان، وصالح خرفي (1932م-1998م)، وإبراهيم أبوحميدة، وصالح خباشة، وإبراهيم بن يحي الحاج أيوب المعروف بالقرادي (1923م-1989م) وعبد الله بن محمد كنطالبي (1930م-1987م)، وأحمد أوبكة، وناصر بن محمد المرموري (1927م-2011م)، وصالح باجو...، الذين نحوا منحى الأوائل على خطى التقليد وما يزال بعضهم حيا يواصل الفعل الإبداعي دون أن تؤثر فيهم تجارب التحديث المنتهجة عبر الفترات التي عايشوها، "و هو تيار إن لم يجدد في الشكل فقد كانت له إسهامات كثيرة معتبرة على مستوى المضامين والقضايا خصوصا بعمقها الإصلاحية والنضالية"، وآخرون لو يلتفت إليهم الدارسون سيجدون فيهم حضورا شعريا جزائريا مهما، ذهبوا ضحية التجاهل والانتقائية والبعد عن مراكز الأضواء، إلا أن الشاعر بغرداية لم يستطع أن يتخلص من محافظته التي تلازمه حتى على مستوى الإبداعي، بينما تبقى هذه السمة هي الغالبة التي يمكن أن تدرس في شعر المنطقة رغم كل أشكال التطور التي ستظهر لاحقا على الصعيد الاجتماعي والفني، وبذلك تكون منطقة غرداية من بين المناطق التي ساهمت إبداعيا في أداء دورها الإصلاحية والنضالية والكفاحية والأدبية على غرار باقي المناطق الجزائرية الأخرى، وبنفس الفكر والتوجه من أجل جزائر موحدة، وتشهد لهم بذلك النصوص الشعرية رغم التفاوت الإبداعي الموجود بينها.¹

مفهوم الهوية:

لغة:

الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية

الهوية كما يعرفها معجم الوسيط " بأنها البئر البعيدة القعر".¹

كما ويضيف قاموس المنجد في اللغة العربية معناها " حقيقة الشيء أو الشخص المطلق المشتملة على صفات جوهرية".²

وهي كلمة مشتقة في اللغة العربية من الضمير المنفصل " هو"، الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص، المستقلة عن ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين.

أما في اللغة الفرنسية، فإن لفظ الهوية (L'identité) مشتق من كلمة اللاتينية (Edèm) التي تقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما، مع الاحتفاظ بذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض، والهوية كما شرحها لاروس تعني "الظروف، أو الحياتيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا، أو محددًا" أما الموسوعات الفلسفيات في تعريفها للهوية، فالهوية مقولة تعبر عن تساوي وتمائل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاتها (...). ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا، ومن ناحية أخرى، فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى حديد هويتها بهدف تصنيفها، وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصله بالتمييز (بين الأشياء)...."²

كما يراد بها أيضا "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره حيث تسمى، كذلك بوحدة الذات وهذا يعني أن المعنى اللغوي للهوية يرتبط بالذات، الشخص، الوحدة ومطابقة صفات الفرد لذات"³

اصطلاحا:

¹ - مجمع اللغة العربية: «الوسيط»، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2008، ص:1044.

² - صبحي حماوي وآخرون: «المنجد في اللغة العربية المعاصرة»، دار المشرق، بيروت، ط2، (د، ت)، ص:875.

² - أحمد منور: «الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص:12،13.

³ - سارة عياش: «انعكاسات العولمة على الهوية الثقافية عند محمد عابد الجابري»، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الاجتماعية، جامعة 8ماي، قالم، 2016، 2017/1945، ص:34.

أما في الاصطلاح فتعني الهوية عند الفلاسفة بأنها تعني الماهية أي جوهر الشيء وحقيقته ويختلف مفهومها من فلسفة الى أخرى ومن فيلسوف لآخر، ومن مرحلة تاريخية لأخرى يختلف باختلاف الأنساق الفلسفية والفكرية، اما في علم الاجتماع فهي ترتبط بالمجتمع وتحدد به وهي ظاهرة اجتماعية تحدد ماهية المجتمع من حيث هو تركيبة بشرية مكوناتها كثيرة ومتشابهة منها الهوية، وهي عناصر اجتماعية بحتة وسياسية اقتصادية وثقافية ودينية وتربوية وغيرها، فالجانب الثابت الذي لا يتغير بتغير الأوضاع والظروف في الفرد والمجتمع وفي الطبيعة ومن دونه لا يقوم مجتمع ما وينهار بانهار هذا الجانب هو هوية المجتمع مثل الإسلام في المجتمع الإسلامي، واللغة العربية في المجتمع العربي، ويختلف المقوم الذي يحدد هوية المجتمع من مجتمع لآخر، دينيا كان أو عرقيا أو طائفيا أو غيره، أما في السياسة والإيديولوجيا فقد عرفت الهوية بأنها تتعدد وتتنوع بحسب مقوماتها التي هي مقومات الأمة، فتتعدد بتعدد الثقافات واللغات والجغرافية والتاريخ والأديان والأعراق والأوطان ووحدة الماضي والمصير المشترك غيره، وقد تتحدد بقوم واحد أو بأكثر من قوم فالأمة الإسلامية، هوياتها على الدين الإسلامي وداخل الأمة الإسلامية توجد هويات كثيرة مثل هوية السنية والشيعة والكردية... وغيرها، مما سبق يتضح بأن مفهوم الهوية لا يمكن حصره أو ضبطه لكن المتفق عليه أن الهوية تعبر عن حقيقة الشيء وما هيته، وهي المقوم الذي تقوم عليه المجتمعات وتؤسس عليه هويتها مثل اللغة والعرق والدين والأرض وغيرها.¹

ومن معاني الهوية ما تعلق بشخص الإنسان، إنها تلك المعلومات المسجلة في "بطاقة التعريف" أو "بطاقة الهوية"، التي تشمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانه، والنسب العائلي (أي اسم الأب والأم)

¹ - أحمد منور: «الأدب الجزائري بالسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 13.

الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية

وعنوان الإقامة، بالإضافة إلى العلامات الجسمية المميزة، كالطول ولون الشعر ولون العينين وقد يضاف إلى هذا كله ديانة الشخص أو الطاقة التي ينتمي إليها، ولون بشرته¹

من خلال التعريفات السابقة نستنتج، بأن الهوية مصطلح عميق ومفهوم كعمق قاع البئر حيث يشمل الفرد والجماعة، وحاولنا حصرها في أنها تحديد لصفات والميزات التي يتمتع ويتسم بها كل شخص أو جماعة ما أو شيء ما، وما مدى تشابه والتماثل لخصائصهما وصفاتهما الجوهرية مع الشخص والأشياء الأخرى، إذا لا بد من وجود خاصية وسمة وميزة متفردة ومستقلة لكل منهما، رغم هذا التماثل والتشابه الشديد، ومن خلالها يستمد المجتمع قوته وتظهر ملامحه الشخصية المميزة له.

¹ - أحمد منور: «الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها»، نفسه، ص:14.

خطة الفصل:

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في ديوان "قلب وحجر".

1- المبحث الأول: التعريف بالشاعر.

2- المبحث الثاني: أهم نشاطاته و مؤلفاته.

3- المبحث الثالث: قراءة في ديوان "قلب وحجر".

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

المبحث الأول: التعريف بالشاعر.

عمر بن باحمد هيبه من مواليد يوم الجمعة 14 جمادى الأولى 1364هـ، يوافق السبع والعشرين أبريل من سنة 1945م، بمدينة بنورة ولاية غرداية، نشأ بين أحضان والدين كريمين، وهو سابع تسعة إخوة، وعاش بينهم حياة طفولية سعيدة، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط بمسقط رأسه بمدرسة الثبات القرآنية، زاول التعليم بنفس المدرسة الأولى التي تخرج منها، وبمدرسة المسجد القرآنية بمدينة مليكة العليا ما بين سنتي 1965-1971. تابع من أجل زيادة التكوين دروسا ليلية في مختلف المواد، تحصل على الشهادة الأهلية دورة ماي 1969م.

باشر التعليم أيضا بالمدرسة الفنصلية الرسمية بالجزائر العاصمة، نجح في مسابقة الدخول إلى المدرسة العليا للأساتذة 1971م، كما تابع دراسته في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر، انفصل عن الدراسة في السداسي الثالث 1973 لظروف قاهرة، مارس التجارة في مسقط رأسه وفي العاصمة، كما مارس البناء في مدينته.

عاد إلى التعليم بمدرسته الأولى لحقبة من لا يستهان بها من الزمن، أصبح الشعر له هواية يساهم به في الحياة الثقافية في محيطه، ولم يستطع أن يتخلى عنه رغم أنه لمح إلى ذلك مرارا هذا المؤلف (قلب وحجر) يشفع له بالنشاط الشعري، ومن خلاله تكتشف نفسا لا كالنفوس، وطموحا لا كطموح الآخرين، وأنينا ينبئك من بين طيات كلماته معاناة دفينه في قلبه.¹ وقد أخذ علمه من عدة أساتذة في القطاع الرسمي والقطاع الحر، "ومن أساتذته في القطاع الحر كل من بافلح بايوب وقشار بالحاج، وصدقي محمد، ومطهري الحاج امحمد وغيرهم، أما في القطاع الرسمي فكان أساتذته كل من إحسان الناس،

¹ - عمر بن باحمد هيبه: «قلب وحجر»، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد، غرداية الجزائر، 1426هـ/2005م، ص: واجهة الكتاب الأخيرة.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

ومحمد صالح ناصر، والشريف قاهر، وبشير خلدون... وغيرهم، بعد تخرجه عاد للتعليم بمدرسته الأولى الثبات بينورة لحقبة من الزمن.

وكان للشاعر هيئة خدمات اجتماعية جلية، تولى من خلالها كتابة الجلسات في جمعية الشبان وعشيرة آت عبد الله، وأعيان بنورة في فترات وجيزة، كما شارك مع إخوانه الشباب الطلبة في جمعيات محلية إنشادية ثقافية، له مساهمات في الحفلات والأعراس، والمناسبات الدينية والوطنية المحلية الجهوية، بحيث له عدة أناشيد ملحنة تعامل بها مع الفنانين الأساتذة: داودي عمر، فخار حمو وغيرهما، فو بهذا له حضور في المجتمع المدني البنوري، ومشاركاته في اجتماعات تأسيسية وتنظيمية وهو على بعد مسافة واحدة من كل أطراف المجتمع البنوري باحترام آرائهم وتوجهاتهم.

وبدأ عمر بن باحمد هيئة كتابة الشعر مبكرا في الثانوية، باعتباره وسيلته التعبيرية المفضلة، وهو يساهم بها في الحياة الثقافية والاجتماعية في محيطه خاصة وبلاده عامة".¹

¹ - بحیصة کریمة: «شعر الطفولة في الأدب الجزائري ديوان أغنيات البراءة لعمر بن باحمد هيئة»، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، 2015/2016م، جامعة غرداية، ص: 67.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

المبحث الثاني: مختصر عن أهم نشاطاته ومؤلفاته.

- ختم القرآن الكريم بمدرسة الثبات.
- نظم أول قصيدة له يوم 1962\12\26 بطلب من أستاذه بالحاج قشار بكتابة تعبير في وصف الطبيعة.
- في سنة 1996 تحصل على الشهادة الأهلية، وتأهل بها إلى التعليم الرسمي بدرجة أستاذ مساعد، أين درس بالجزائر العاصمة، "بالمدرسة القنصلية"، و "فيكتورمارشي" السيدة الأفريقية.
- التحق بالتعليم بمدرسة الثبات ومدرسة المسجد بمليكة العليا الحرتين، ما بين سنتي 1971\1969 في المواد الشرعية، والتاريخ إلى جانب القرآن الكريم.
- نجح في مسابقة الدخول إلى المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، ثم التحق طالبا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر المركزية موسم 1972\1971.
- عاد إلى التعليم بمدرسة الثبات ببغزة لحقبة من الزمن.
- تولى كتابة الجلسات في جمعية الشبان عشيرة آل عبد الله، أعيان بنورة في فترات وجيزة.
- شارك مع إخوانه الشباب الطلبة في جمعيات محلية إنشادية ثقافية وبدأ كتابة الشعر مبكراً بمدرسة الثبات، وله مساهمات في الحفلات والأعراس والمناسبات الدينية والوطنية، والمحلية الجهوية.
- له حضور في المجتمع المدني البنوري، ومشاركات في اجتماعات تأسيسية وتنظيمية.
- له عدة أناشيد ملحنة حيث تعامل مع الفنانين المحليين الأساتذة، عمر داودي، وفخار حمو وغيرهم.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

• أصبح نتاجه محل دراسات أكاديمية منها: ظاهرة الحزن، تجليات الحضارة، سيمائية الفضاء،

دلالة الأصوات.¹

مؤلفاته:

1. ألف ديوان "قلب وحجر" والذي يعد أكبر الدواوين، طبع سنة 2005، ويحتوي على أربعة محاور

وهي: مساحة محلية، قلوب مؤمنة، ترانيم وطنية، من نبض العروبة و الإسلام.

2. الديوان الثاني الذي عنوانه حديث القرى، وقد صدر سنة 2008 فكانت محاوره: من أصالة الوادي،

نبضات سريعة، حب وانتماء.

3. ثم ألف ديوان أغنيات براءة، سنة 2013 الذي قسمه إلى قسمين: قسم الأناشيد وقسم المحفوظات

ويعد هذا الديوان خاص بأدب الطفل لأنه جعله خصيصا للأطفال، وذلك لبساطة لغته سهولة أفكاره.

4. ثم تلاه بديوان عن بلاد المجد والشمس، الذي طبع سنة 2015، والذي تطرق فيه إلى محاور عديدة

وهي: في دائرة الشعر، في دائرة الصداقة، رجال وظلال، غرداية تحت الماد.

5. أما الديوان الخامس الذي عنوانه أكباد على الرمل ومن محاوره: أحداث وأحاديث، ومن هنا وهناك،

وتوقيعات.

6. وختمها بديوان الطل و الوابل، الذي أصدر سنة 2019، حيث ذكر فيه أهم القصائد التي نال بها

رواجاً وشهرة.²

¹ - بحیصة كريمة: «شعر الطفولة في الأدب الجزائري ديوان أغنيات البراءة لعمر هيبة»، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي، 2015/2016م، جامعة غرداية، ص:69.

² - محمد ميوريج: «الدلالة الصوتية في ديوان قلب وحجر للشاعر عمر هيبة»، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تعليمية اللغة العربية، 2017 م/2018م، جامعة أدرار أحمد دراية، ص:22.

المبحث الثالث: قراءة في الديوان "قلب وحجر".

يقع ديوان قلب وحجر لعمر بن باحمد هيبية في مائتين وخمسة عشر صفحة، ويعد هذا الديوان الشعري الأول في مسار الشاعر، والذي طبع سنة 1426هـ/2005م، من قبل المطبعة العربية في غرداية، بحجم متوسط ، تعلوه على اليمين مقولة "... وإن من الشعر لحكمة" باللون الأبيض وتتوسط الكتاب كلمة قلب باللون الزهري وقد تخلل حرف الباء منها بحرف الحاء بكلمة حجر ليلتصق بنهايته قلب ذو لون أحمر، حيث أن كلمة حجر اتخذت صورة و لون الحجر بخط رمادي عريض، يتوسطهما حرف الواو باللون الأبيض في الأسفل واتخذ الكتاب لون أخضر داكن وعلى جهة اليسار صورة لرجل يشتم وردة بيضاء، واسم الشاعر في اسفل الكتاب، أما خلف ظهر الكتاب، الشاعر في سطور مرفق بصورته الشخصية من قبل الجمعية الناشرة سنة 2005 / 15 / 05 والملاحظ من خلال عنوان الكتاب الذي يحمل طابع المفارقة بين القلب اللين الحساس، والحجر الصلب الثابت، وقد علل الشاعر سبب اختياره القلب و الحجر كعنوان لديوانه بقوله: قلب وحجر لماذا؟ ووجه الاشتراك بين القلب والحجر لأنه يرى بأن القلب: هو الإنسان؛ مصدر الإحساس، عالم نفسي بكل أغواره، بكل خلجاته وعواطفه وغرائزه ونزواته؛ فقال:

القلب: هو الإنسان بكل أبعاده الفكرية، لغته وثقافته وآرائه وفلسفته ومذاهبه وعقائده.

القلب: هو الإنسان بكل أبعاده الحضارية؛ معالمه وآثاره، منجزاته ومعارفه.

الحجر: هو القاعدة الثابتة للأرض؛ هي الرواسي الشامخات، هي الهيئة الطبيعية التي احتضنت الإنسان ومهد حضارته عبر التاريخ. الحجر: هو قدسية الحجر ابتداءً من الحجر الأسود بركن الكعبة قبله، وانتهاءً بحجر الرفض نرفع به الإهانة ونصد به الأعداء.

الحجر: هو الأمين الحافظ لسر الإنسان؛ أودع فيه بصماته لوحاته فنية ونقوشاً رائعة

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

والمشترك بينهما : هو الأثر الخالد، والمعلم الثابت والإنجاز الباهر الذي تركه الإنسان وخلده الحجر ابتداءً من أهرامات مصر إلى نقوش الطاسيلي إلى الأسرار العمرانية بميزاب، يستقرأه الأحفاد فيعملوا عظمة الأجداد.¹

إن الديوان من تقديم وبقلم الأستاذ عمر بن بالحاج قشار بتاريخ 11 ربيع الثاني 1426 هـ 20ماي 2005 م ، ثم تلتها خطبة الكتاب بقلم المؤلف عمر بن باحمد هبية بتاريخ 15\05\2005 ببنورة والتي شرح فيها المؤلف أول بداياته مع الشعر وكيف اخترق مجال الشعر مع بداية أول محاولة تعبيرية وخرشيات حرة في كراريسه للتعبير الكتابي، والتي كانت إبراز وصف للطبيعة أمّلته عليه عيناه التي تذوقت الجمال وإعجاب أستاذه الشهيد بالحاج بن عدون وثنائه عليه وتحفيزه له على المواصلة قدماً في قرظ الشعر، والإرشادات الهامة التي لم يبخل بها أستاذه بمدرسة الثبات القرآنية ببنورة، والأستاذ المرحوم يوسف بن عيسى دودو كان أكبر حافز له وثاني شحنة تدفعه للأمام، وصرح بأن ما قلل الشعر في مسقط رأسه سابقاً «قلة الفضاءات الثقافية، فلم تكن إلا حفلات الأعراس أو حفلات اختتام المواسم بالمدارس مناسبة للنشاط، ثم تثنى الجو الثقافي بظهور الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب، وتكون الجمعيات الخيرية التعليمية مثل جمعيتي الثبات و النور ببنورة ازدادت دائرة الثقافة اتساعاً بدافع التنافس الإيجابي بين هذه الجمعيات، وهذا العامل إضافة إلى ما سبق حافز لي على المضي قدماً».²

وأردف الشاعر بأنه لم يشعر بالرضى يوماً عن سبك ما جمعه في هذا المؤلف، فرأى أنه لم يملأ وطابه من المعارف العلمية المتخصصة في المستوى الأعلى، وأن احتكاكه بالمتقنين لم يتجاوز في غالبه وادي ميزاب وما عدا ذلك فهو طموح وعصامية، أو أقل تطفل على الثقافة، وبمشيئة الله واستجابة للإلحاح المتكرر من أعضاء الجمعية تسيير الشهيد بالحاج قشار، والأستاذ عمر بن بالحاج قشار جمع شتات

¹ - عمر بن باحمد هبية، «قلب وحجر»، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية، 2005م، ص: (ك).

² - المصدر نفسه، ص: (هـ - و).

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

أوراقه بغية طبعها ونشرها، وذلك في قوله "وتشاء الأقدار أن تستحثني جمعية تسيير مكتبة محفزي الأول الشهيد الشيخ بالحاج قشار وعلى رأسها تلميذي أيام زمان، وصديقي في هذا الزمان الأستاذ عمر بالحاج قشار، لكي أجمع شتات أوراقى بغية تقديمها للطبع".¹

وكيفية توزيع عمله الأدبي المتواضع على أربع محاور، حيث خصص المحور الأول "مساحة محلية" وقال: "سميتها كذلك أقصد بها محلية الإنسان في منطقة مسقط رأسي، هذا المتشبهت بأصالته الأمازيغية ومبادئه الإسلامية، وأعرافه تقاليده المحلية، وخبراته من محيطه الصعب، وصراعه المرير مع الزمن من أجل البقاء"²

تناول فيه عدة قصائد، و مع كل قصيدة كان يبتدئها بمقدمة صغيرة حول موضوع القصيدة، و كأنها تمهيد بسيط لها، أما في المحور الثاني " قلوب مؤمنة " حيث قال: "أخصص ثاني المحاور لقضايا من لواقع مستمدة من إيمان القلوب، وبذلك سميتها، ضمنها نماذج لقوالب بشرية وصور للتضحية والطموح، ومآثر خلدتها رجال مخلصون عاملون ضمن نخبة بجناحي الحفاظ والإصلاح، فأنتجت مجتمعا متجذرا متفتحا أصيلا وعصريا معاً".³

أما في المحور الثالث والذي سماه بـ " ترانيم وطنية وهو يحتوي على الوطنيات وذكراياتها وهي إحياءات جزائرية، ومحطات مهمة في حياة الوطن، من ذلك وقفة خاشعة في عز المصاب، عظمة ضريبة الدم والعرق ونشوة عارمة مع النصر والحرية".⁴

ثم جعل آخر المحاور ورابعها تحت مظلة الانتماء للعقيدة السمحاء قولاً وعملاً، ممارسة وتطبيقاً، وقد أسماه من نبض العروبة والإسلام، ثم الإهداء والذي اقتداه من الشاعر المليكي (مليكة) الموهوب بالحاج

¹ - المصدر نفسه، ص: (و) الخطبة.

² - المصدر نفسه، ص: (ز) الخطبة.

³ - المصدر نفسه، ص: (ز) الخطبة.

⁴ - المصدر نفسه، ص: (ز) الخطبة.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

خرازي وكان مبدعاً في ذلك ونجد بعد الإهداء مباشرة تساؤل الشاعر بخط أسود بارز قلب وحجر لماذا؟ حيث شرح لماذا اختار القلب ولماذا اختار الحجر والمشارك بينهما وترك لنا الخيار في أن نكون إما قلباً أو حجراً فقال:

كن يا أخي قلباً:

يفيض بكل أطياف المشاعر
يقتات من نبع الفضيلة
ينتقي أعلى الجواهر
ينساب كالنور المسافر في المدى
ويظل خفاقاً يسافر
يهوى من الإنسان ما يسمو
وما من طبعه صاف وظاهر

أوكن أخي حجراً:

فإنك إن تكن حجراً تغامر
تستعذب الأخطار تتعل الدجى
وتظل منتصباً إذا اشتدت هواجر
ما الشهم إلا قطعة من صخرة
يحيا على وقع المخاطر¹

ثم تلاهى بتأملات في الشعر والحياة وابتدأها بتقديم بسيط عن الحياة وما فيها من أنماط وظواهر حياتية وطبيعية، فجاءت القصيدة بعد التقديم مباشرة حيث قال فيها:

¹ - المصدر نفسه، ص: (ل).

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

يا هذه الدنيا جلالك بادي في سرك المتواجد الأخاذ

ومظاهر الأشياء لغز خالد مجهولة الأغوار والأبعاد¹

بعدها مباشرة تطرق إلى المحور الأول مساحات محلية والتي تناول فيها عدة قصائد، مع كل قصيدة كان يبتدئها بمقدمة صغيرة حول موضوع القصيدة، ونجد في هذا المحور أربعة عشرة قصيدة مختلفة الطول والموضوع، ونذكرها على الترتيب: قمم وقيم، راعية الربيع، مدرسة الثبات وإسلاماه، الامتحان، خصال ورجال، تقلبات الدهر، الربيع، إلى بنورة وأخواتها، عشائر ومشاعر إلى أشبال تيهرت، الأنين، عهود وجهود، تحية إلى جمعية التراث، وقد اخترنا مثال لقصيدة عشائر ومشاعر ويقول في مقدمتها:

يقولون الإنسان مدني بالطبع: والمجتمع المزابي مجتمع قبلي عائلي، وليس معنى هذا أنه بدائي بل يعيش في تكافل تام ووعي قوي وتعاون بين أفراده وفي نظام محكم النسج والتركيب، والعشيرة هي خلية فاعلة وإحدى المؤسسات العرفية التي لاتزال تعمل بقوة في الساحة الاجتماعية.

ويسألون عن دور العشائر

ودورها في خدمة المشاعر

ويقظة الضمائر

بحمدها تسبح الحناجر²

تحدث فيها عن العشائر بوادي ميزاب (عشائر بنورة) والقبائل في العصر الجاهلي، وعن الأوضاع الاجتماعية الصعبة، التي أدت بتفرقة هذه العشائر، والدور التي تلعبه في تكوين الفرد والمجتمع، والدعوة إلى لم شمل القبائل والعشائر المتفرقة وتوحيد الأهداف والجهود لرقى وتطور هذا

¹ - المصدر نفسه، ص: (م).

² - المصدر نفسه، ص: 37، 38.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

الوطن، ويذكر في نهايتها مناسبة كتابته لهذه القصيدة، فقد ألفت بمناسبة تأبين المرحوم الشيخ حمو عيسى النوري بتاريخ 22\06\2000م.

أما في المحور الثاني تحت عنوان "قلوب مؤمنة" فقد تناول فيه بطولات وتضحيات الفدائيين وتمجيداً للشهداء الأبرار الذين ضحوا بحياتهم من أجل أن ننعم نحن بالسلام والأمان في هذا الوطن وقد ضم سبعة عشرة قصيدة متباينة الأطوال نذكرها على التوالي: كلمة لا بد منها، موسم الفداء والفتى، والأفول، والبطل، وجمر وفجر، وبكائية على شهيد، والفاجعة، ولن تعود هذه الشمس وصرخة صمت، والعرجون، وتحية إلى الرموز، والنبع، وتحية إلى السائرين على الدرب، وآخر الفرسان، والتلم، وفي دائرة النسيان، ونذكر كمثال قصيدة بكائية على شهيد، ويقول فيها:

نريد ولكن رب السماء يريد	فنحن العبيد ورب السماء الحميد
نريد ولكن قضاء الإله نريد	ولكن أمرك أمر وحكم رشيد
قضيت فأجريت هذا إلقاء	فأخرجت منا الشقي وصغت السعيد
وصيرتنا أمما فانتشرنا	ندب لرزق وعيش رغيد
ولكن عيش العظيم بلاء	وهذا البلاء وسام العتيد
ودرب من الصبر والهم صرف	يجرع سما ويسقي الصديد
فأكرم منا وأعم فينا	وأرفع عند الإله الشهيد
فإن الشهادة شهد لذيذ	ولكن في طبق من حديد ¹

حيث كتب هذه القصيدة في الأسبوع الذي وقعت فيه حادثة اغتيال أستاذه الشهيد بالحاج بن عدون قشار، فقد استشهد يوم الاثنين 7 أكتوبر 1996، في طريق عودته إلى وطنه بعد مساعي ومهمات اجتماعية نبيلة بالعاصمة، رحمه الله ودفن في مسقط رأسه في حفل حضره أزيد من 7000 شخص، كان

¹ - المصدر نفسه، ص: 83.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

اغتياله مع جماعة من المسافرين إحدى وصمات العار في تاريخ الجزائر الحديث وهو جزء من المأساة الوطنية التي طالت رجال الفكر والأئمة المخلصين.

وجاء في المحور الثالث بعنوان " ترانيم وطنية " والذي ضم اثنتي عشرة قصيدة، وقد تحدث فيها عن الأعياد الوطنية التي تقام بالجزائر، ونذكرها على الترتيب: بلادي، ونوفمبر، والنخلة، وذكرى الخامس من جويليت، والجزائر، وذكرى يوم العلم، وتحية إلى ثامن من ماي، وتحية إلى سطيف المجدي، وقراءة في الألم، وأزمة وهمة، ووقفه في شارع الوحدة، وانتصار العقل.

يقول في أحد قصائده في الذكرى الخامس من جويلية والذي يصادف يوم عيد استقلال الجزائر عن الاحتلال الفرنسي:

أجوليت لبستنا العافية	وحققت آمالنا السامية
حللت رسول السلام بنا	وجئت بخمس لنا غالية
أيا خمس جوليت أين الضحايا	وأين ليالينا الداجية
وأين الملايين من إخوة	وأين دماءهم الزاكية
وأين السجون وأين الدما	وأين مجازر أعدائنا ¹

وهنا تحدث الشاعر عن ذكرى يوم الاستقلال الخامس من جويلية سنة 1962، حيث يبقى هذا التاريخ محفوراً في ذاكرة كل جزائري فهو بمثابة إشراقة أمل ونهاية ألم، عاشه الشعب الجزائري في فترة الاحتلال، وقد نظم هذه القصيدة وشارك بها في حفل آخر السنة الدراسية سنة 1969 \ 1970 في مدرسة المسجد بمليكة العليا بمناسبة الذكرى التاسعة للاستقلال حيث كان بها معلماً.

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر »، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد، غرداية الجزائر، 1426هـ/2005م، ص: 139.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

أما في المحور الرابع: فقد جاء بعنوان (من نبض العروبة والإسلام) والذي ضم ثمان قصائد نذكرها على الترتيب: نعمة العقل وقمة التكليف، جاء الحق وزهق الباطل، الفلسطيني، الانتفاضة العراق الجريح، على توقيت القدس، كلمات من زمن السقوط، متاهات، ونذكر كمثال لقصيدة " الفلسطيني " وما جاء فيها:

كل ما حولي يهود من حديد من قيود

من عتاد من جنود هكذا القدس تعود

اليهودي لليهود

زرع جرح محق فرح طمس صبح في سماء العربي

قتل نفس حفر رمس حمل بؤس للتراب العربي¹

وهنا تحدث الشاعر عن الشعب الفلسطيني وبطولاتهم، وعن تاريخ الصحابة والفاطحين وابطال الإسلام، ابتداء من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم الى الفتوحات الإسلامية، وقد شارك بهذه القصيدة في الأسبوع الثقافي الخامس لبلدية غرداية في أبريل 1983 بسيما مزاب بغرداية.

اما اخر محور فقد عنوانه بـ "آخر المطاف"، أد احتوى على قصيدتين هما:

الدنيا والموت ونذكر كمثال قصيدة الدنيا حيث قال فيها:

قدر تعيش وبعد ترحل في خطى مترادفة

قدر وجودك كله لحظات عمرك سالفه

بعض يعيش حياته يحيا وهول العاصفة

يقتات من شطى في الحياة وفي هموم جارفة

¹ - المصدر نفسه، ص: 182، 181.

الفصل الأول: تعريف الشاعر وأهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في الديوان " قلب وحجر "

و بعض ينعم دون هم في ظلال وارفة

ترنو له الدنيا فيسعد والمرامي هادفة

البعض يشقى نفسه والبعض يسعد طائفة¹

وهنا يحث الشاعر الإنسان على السعي وليس المسعى، وأن يرضى الإنسان بقدره وما كتبه الله له

في دنياه، فهكذا هي سنة الحياة شقاء لبعض وسعادة لآخر.

ثم ختمها بفهرس الاعلام المترجم لهم، والفهرس العام.

حاول الشاعر عمر هيبه من خلال تأليفه لديوان " قلب وحجر " أن يعبر عن إحساسه العميق

بقوميته وأن يفخر بعرويته وأن يربطها بالإسلام وبقضايا الأمة العربية، وهو ما تفسره تلك العواطف

الصادقة المبنوثة في ثنايا قصائده، مستندا على طرق مختلفة إما برسم صورا أو باستخدام الأسلوب

التقريبي المباشر وغير المباشر أو بطريقة موازنة...، ضمن قالب شعري مناسباتي فصيح يجذب القارئ

ويدعوه في نفس الوقت ليتمسك بعرويته ويعقيدته الإسلامية وبوطنه وبمقومات الهوية الوطنية عموما

ويذود عنها.

¹ - المصدر نفسه، ص:205.

خطة الفصل:

الفصل الثاني: تجليات الإسلام والعروبة واللغة الأمازيغية في ديوان " قلب وحجر".

1- المبحث الأول: تجليات الإسلام.

2- المبحث الثاني: تجليات العروبة.

3- المبحث الثالث: تجليات اللغة الأمازيغية.

المبحث الأول:

1/1 تجليات الدين الإسلامي في الديوان "قلب وحجر":

لقد أبلى الشعب الجزائري صمودا ومقاومة ضد المشاريع الاستيطانية الظالمة التي تعرض لها وسلطت عليه من قبل الاستعمار الفرنسي، والهادفة لمحو اللغة والشخصية العربية ومحاصرة الإسلام وتضييق الخناق على المسلمين الجزائريين، وذلك بنسج مؤامرات وبث نزاعات بينهم لتشتيت شملهم وفك وحدتهم ، ففتطن الشعب الجزائري لهذا، وانتفض من أجل استعادة سيادة وطنه والحفاظ على مقوماتها الأساسية والمتمثلة في ثلوث الهوية الوطنية الجزائرية التي يركز عليها، ابتداءً من الدين الإسلامي إلى العروبة فاللغة الأمازيغية.

وهناك من اختار الجهاد المسلح وصعد الجبال، وهناك من اختار اليراع واكتفى بالمداد سلاحا كالأدباء والشعراء وكل من امتلك حس الغيرة على وطنه وشعبه، فقد عملوا جاهدين على دحض كل من يطمع في أرضنا ويطعن في عقيدتنا وبشكك في أصول شعبنا ولغتنا، فلامح هذه الشكوك استجدت ولا يزال صداها يتردد على مسامع بعض البشر الذين يصطادون في المياه العكرة في عصرنا وينتهزون الفرص لإعادة سيناريو المستعمر الفرنسي، فشاعرنا كباقي الشعراء الجزائريين المعاصرين، الذين يدعون لحب الوطن الجزائري والتشبث بثالوث هويته والتي تتمثل الدين الإسلامي الذي هو عقيدة المجتمع الجزائري، وعروبته، وأمازيغيته لأنه ينحدر من أصول أمازيغية، وأول ما نبتدأ به هو الدين الإسلامي وكيف تناوله شاعرنا عمر بن باحمد هيبه.

الإسلام:

لغة:

مصدر أسلم الطاعة والانقياد والتسليم، وفي الشرع: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد صلى

الله عليه وسلم.¹

ويأتي أيضاً بمعنى السلم والسلامة والسلام والأمن والأمان والسلام اسم من أسماء الله الحسنى.²

كما عرفه كشاف الإصلاحات بأنه: الطاعة والانقياد، ويطلق في الشرع على الانقياد إلى الأعمال الظاهرة،

كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت"³

اصطلاحاً:

وفي الاصطلاح يطلق إطلاقين : يطلق إطلاقاً عاماً على كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

فيشمل ذلك عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، ويكون مرادفاً للإيمان، أما الإطلاق الثاني: على

عمل الجوارح دون أن يدخل فيه الاعتقاد، وإنما يدخل فيه من عمل القلب النيات والحضور والخشوع ونحو

ذلك فقط.⁴

الإسلام هو بمثابة هدية من الله للبشرية، فقط استطاع تحقيق وحدة البشر بغض النظر عن اختلاف

قومياتهم ولغتهم فقد وحدهم كما لم يفعل أي تيار أو مذهب من قبل.

¹ - عمر أحمد مختار: «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008م، ص:113.

² - محمد خالد عمر: «الهوية وتفاعل العروبة والإسلام»، مقال علمي، ص:3.

³ - محمد علي التهانوي: «كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم»، تح/رفيق العجم وعلي دحروح، (د.ط)، ج1، ص:178.

⁴ - محمد الحسن الددو الشنقيطي،: «دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي»، المكتبة الشاملة الحديثة، ج1، (د.ب)، (د.ت)، ص:18.

لقد وصل الإسلام أسلافنا الأمازيغ قديماً عن طريق الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا بفضل قادة شجعان أمثال عقبة بن نافع الذي نشر رسالة الإسلام وتعاليمه ومبادئه وقيمه، في أرضنا فانكب عليه أجدادنا واعتنقوه وتبنوه، لما رأوه في مبادئه وتعاليمه فصاهروا العرب و تعلموا العربية لغة القرآن التي وحدة لسانهم ونطقهم وزادتهم وحدة بإخوانهم العرب فانضموا لهم في صفوف نشر رسالة السلام، هذا ما أورد الشاعر في قصيدة "تحية إلى سطيف المجد" إذ قال فيها:

يوغرطا مثل أطلسنا عظيما	شديد البأس عند نشوب حر
وعصيته أمازيغ شداد	يخوضون المعامع دون ريب
وعقبة حيث اشرق كان فجرا	على الآفاق محفوفاً بركب
أتى برسالة الإيمان نهجا	وهذب نطقنا بلسان عرب
هو الإيمان مقدم كل خير	هو الإسلام معتق كل شعب ¹

إن التشكيك في انتماء الشعب الجزائري للدين الإسلامي ومحاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الجزائر من قبل الاستعمار، وخاصة في فترة العشرية السوداء التي مرت بها البلاد، فقد واكب كل من الأدباء والشعراء هذه الأحداث وحاولوا أن يصوروا ويظهروا بشاعتها و فضاعتها للعالم من خلال كتابتهم وأشعارهم، وشاعرنا كغيره من الشعراء، فقد كتب عمر هيبية عن الأحداث التي سبق وقوعها في مدينته غرداية في جوان من سنة 1985م لتتجدد فيما بعد بشكل أبشع في صورة انحطاط الإنسان وعدم التزامه بقيم الإسلام وهذا ما أورده في قصيدة وا إسلاماه! حيث يقول فيها:

حين يموت الود في الضمائر	تفقد الرحمة قلبا فاطر
حين يذوب العرف والسجايا	وتبتطش الأجلاف بالحواضر
حين تغرد النساء للذي	يروم غدرًا والعدو غادر

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:156.

حين يكون العنف من سلوكنا وتبذل الحمة بالزواج
ويسقط الجوار من أخلاقنا ويستحيل الجار وحشا كاسر
ويعجز الإسلام عن إيوائنا وجل ما في ديننا ظواهر
أبحث عن هوية تحضنني بين رعايا الروم والبرابر
وتصبح اللحية عندي وهما ويصبح القميص غير ساتر
ويصبح الشعار قولاً مفرغاً بلا مبادي وبلا مشاعر
وتصبح الردة حلاً والذي ينقذني هو الغوي الماكر
وأرتدي قبعته لأنها رمز الرقي سمة الحواضر
وا إسلاماه وا إسلاماه فينا كنت عزيزاً عندنا والآمر¹

صور الشاعر هنا حالة الدمار والخراب التي صنعها الإنسان العاقل الذي تمرد على كل القيود والذي في اعتقاده بأنه يجاهد في سبيل الله وركض وراء حلمه الضبابي في بناء دولة إسلامية مثالية، من خلال سفك دماء أخيه الإنسان وحرق المساكن ونشر للخراب وبث الحقد في نفوس الأفراد وتدمير المآذن وتشويه الإسلام وذبح عقيدته، وهنا الشاعر يستغيث بالإسلام بقوله "وا إسلاماه" وتحصره على الحال التي آل إليها الإسلام فأصبح ديناً ظاهرياً فقط، وبالتالي تلاشي الهوية الجزائرية بتلاشي وحدة من وحداتها وهو الدين الإسلامي.

وقد برع الشاعر في تصوير واقع الإنسان الجزائري في ظل المأساة الوطنية، ونذكر كذلك حديثه في موضع آخر مما جاء في قصيدة "الفاجعة" التي تحدث فيها عن اغتيال الشهيد بالحاج قشار من قبل الإرهاب في فترة التسعينيات إذ يقول:

إذا وقعت هكذا واقعه ودبت بأوصالنا الفاجعه
إذا وقعت ها هنا واقعه وزلزلت النفس بالهالعه

¹ - عمر بن باحمد هبية: « قلب وحجر»، ص: 17.

إذا دمدم الشر في ربنا وحكمت الآلة القاطعه
إذا سيق للذبح شيخ جليل تسامي بأعماله الرائعه
وشيوخ كبير وطفل وليد وأم بطفلتها الراضغه
يفاجأ جمع أمين سعيد هنيء وأعينهم ضاجعه
يقتل قوم بغدر وبطش كشاء ميسرة طائعه
فقد جن هذا الزمان يقينا وحقا لقد حلت القارعه¹

وفيها صور بشاعة وفضاعة المشهد وكيف اهتز المجتمع المزابي كله وبكل شرائحه فقد كان الشهيد عضواً فاعلاً في المجتمع المزابي وفي كل مجالاته الفكرية والاجتماعية وهذه القصيدة ألقاها الشاعر في حفل تأبين الشيخ بالحاج قشار رحمه الله يوم 30 أكتوبر 1997 بعد سنة من وفاته، وقد ذكر دوره الفاعل في المدارس والمعاهد، وما قدمه من نصائح وإرشادات ومواعظ ونهييه عن المنكر، وأشاد بتقانيه الفريد وصفات التقى التي تميزه وجهوده التي شهدها أصدقائه فقد كان أستاذاً للشرعية في معهد عمي سعيد الثانوي، وإماماً بالمسجد العتيق بببنورة...

وقد أبدى الشاعر استيائه وتذمره لما حصل من فساد في هذا الوطن والمجزرة التي يمكن للإنسان إحداثها في وطنه وبإخوانه، والإسلام بدوره حذرنا من اعتداء على بعضنا البعض وبين سوء عاقبة ذلك ونهى وحرّم قتل النفس البشرية بغير حق كما وقارن عظمة عقوبتها بالشرك بالله في قوله تعالى: [والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً]².

¹ - عمر بن باحمد هيبية: «قلب وحجر»، ص: 86، 87.

² - سورة الفرقان: الآية 68.

وقد جعل عز وجل قاتل النفس بغير حق كأنه قتل الناس جميعا واحياءها كإحيائه الناس جميعا وزوال الدنيا أهون عند الله من قتل الإنسان، فقال تعالى: [من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً] ¹.

ولقد لعبت التهيئة الدينية الإسلامية لحياة الشاعر عمر هيبية، دور كبير في توظيفه للمدلولات الإسلامية في شعره، وقد تأثر الشاعر بشكل كبير بتشويه صورة الإسلام وقتل المسلمين العزل، وعبر عن ذلك بلغة بسيطة في تراكيبها ومفاهيمها رغم البعد العميق الذي تحمله في معانيها، فالشاعر شديد الارتباط بدينه وبمدينته غرداية التي ترعرع في كنفها، وكان يأسف كل الأسف لما حصل فيها من مجزرة وفواجع وجرائم لا يقبلها الدين الإسلامي، فقد كانت قصائده في هذا الصدد وسيلة من وسائل ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة التي مصدرها القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة، والشاعر بدوره كباقي الشعراء الجزائريين الذين يلحون على الدين في قصائدهم بحيث لا تكاد قصيدة تخلو من الإشارة له والدعوة لتحلي بأخلاقه التي تتممها عليه الصلاة والسلام في رسالته.

كما ونجد من المواضيع التي دعا إليها الشاعر وضمنها في ديوانه والتي تتدرج تحت مظلة الإسلام مجيء الإسلام وكيف أن فترة العصر الجاهلي اكتسحها الظلم والجهل والحروب لأبعد الحدود فبمجيء الإسلام دينا لكافة البشر وقد خصه الله عز وجل بصفة العالمية، على يد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وحد تحت لوائه أمة بكاملها بغض النظر عن لغة شعبها وثقافتهم، فنجد الشاعر عمر هيبية بين في ديوانه " قلب وحجر " مدى اعتزازه بإسلامه وبسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول في إحدى قصائده والتي عنوانها " خصال ورجال "

بعث الله لأنام رسولا
يحمل الشرع يبعث الآمال
في نفوس الضعاف بعد شقاء
وعناء من الجهالة طال

¹. سورة المائدة، الآية 32.

حرر العقل والعبيد فكانوا
فانظروا الدين كيف كرم زيدا
وأقام الدليل صدقا فلما
في رقاب تعيث في الأرض ظلما
هكذا تصبح الديانة عقلا
ديننا في الوجود سمح كريم
يجعل الشر والفساد حراما
أسعد الناس حين أشرق فجرا
قدوة للورى وكانوا المثالا
وأمين الصلاة أضحى بلالا
اقتناه العقول سن القتالا
وشموخا عن الهدى وجدالا
يتجلى وحجة ونوالا
ينشر العدل والهدى و الخلالا
وكذا الخير والصلاح حلالا
في سمانا ومعقل الشرك زال¹

وكذلك نجد في قصيدة "جاء الحق وزهق الباطل" نفس الفكرة تقريبا يقول فيها:

أطل على الشرق بر قرون
هنا أمة صهرتها الخطوب
فتحت سماء يشع لهيباً
وبين صخور وبين رمال
وخير المعاش لديهم تمور
وإن قتر العيش فالخطب أدهى
هنا يستحيل ابن آدم وحشا
هنا يستحيل التقاتل عرفا
إذا بطشوا كان حقا وإن سلبوا
وكم وئدوا من بنات عذارى
وما حزنوا بعد هذا ولا
وكم نحتوا من صميم الصخور
لأنظر ما احتضنتها السنون
فذاقت من الخطب أفسى الفنون
وفوق أديم تراه سخون
تحدى الصعاب تحدى المنون
وحب الشعير وضرع لبون
لما قد يهدد هذا السكون
فلا العرف يردعه لا الحصون
وأقوى الرجال هنا السيدون
كان حلا بما حملته البطون
بهن حياة ونور العيون
تقطر دمع ببعض الجفون
تماثيل ظلوا لها عابدين

¹ - عمر بن باحمد هببة: «قلب وحجر»، ص: 24، 25.

إذا بالنبي الرسول الأمين	أتى بالهدى والصراط المبين
أتى رحمة بعد طول الضنى	وشرع للخلق أسمح دين
أتى رحمة للورى فانجلت	غيوم الجهالة والجاهلين
أتى بلسما للدنا فامحت	جراح الثكالى مع البائسين
فهبت جمو الضعاف إلى	مناهل ترشفها من معين
لتحتضن النور دينا وتتد	رك أوثانها للذين
قلوبهم كقلوب حجارة	صما ومذهبها مذهب المشركين
بأم القرى شع نور الهدى	فضوع مسكا على العالمين
ويثرب مدت يداها إليه	ففازت بأشرف ضيف ودين
وهبت جموع القبائل طرا	بأرض جزيرتها مسلمين ¹

لقد كانت فترة العصر الجاهلي فترة قاسية ظلامية كانت كلها بدع وجهل استمدت ذلك من واقعها الوثني ومن التقاليد والأعراف القديمة للقبائل والتي تركز على قانون الغاب وسياسة القوي على الضعيف والبقاء للأقوى والبطش والفتك والغارات والحروب المستمرة، وبعد سنين ومعاناة من الزمن جاء نور الإسلام وسطعت شمس على العالم أجمع، ليبيد ويمحو هذه المعتقدات وتتجلي غيوم الجهل والظلام والبدع والخرافات على هذا العالم، وهب الجموع الضعاف لاحتضان هذا النور المبين فقد ساوى بينهم وأعطى للمرأة حقها الذي انتهك سالفاً وحرّم وأدّ بناتهم وأعطاهم حقهم فلتقوا حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حامل رسالة الإسلام فقد جاء بالهدى والصراط المبين واعتقوا هذا الدين السّمح الذي أوّاهم تحت اسمه باسم المسلمين وأصبحوا أنصاراً للدين الإسلامي يحبونه ويدافعون عنه.

¹ - عمر بن باحمد هببة: « قلب وحجر»، ص: 176، 177، 178.

فلولا مجيء الإسلام ما عرفت الأمة معنى الحق والعدل والخير والإحسان ونصرة المظلوم، واعتبر أن هذا التغيير الجذري الحاصل كولادة جديدة للبشرية انتظرتها عهوداً، كالانقلاب العظيم الذي شهدته الجزيرة بمجيء الدين الإسلامي الذي ضمهم تحت لواءه وعاشوا تحت كنفه كمسلمين، استطاع الشاعر تصوير ووصف هذا المجتمع في عصر الظلمات باستخدامه لغة قوية بسيطة في ظاهرها عميقة في دلالاتها ساعدت في انسجام جرس لألفاظ ولإيصال المشهد للقارئ.

وكذلك نجد قصيدة "وا إسلاماه" التي يقول فيها:

باسم الجهاد تحرق المساكن	وتستباح حرمة المواطن
باسم الجهاد تقتل الضحايا	ويستحال جهدها مداخن
مئذنة إذا أجدنا وصفها	قلنا لها مئذنة الضغائن
فجرحت في عمقنا إمانا	وسقطت من علوها المآذن
وانتشرت الخراب في الفيافي	و خيم الحقد على المدائن
يا وصمة التاريخ هل في عهدنا	يستحوذ المكر على المآذن
ويرتقي شموخنا مؤذن	مستهترا بطهرهن فاتن
لتنفذ الجموع لا وعي لها	والحقد في النفس له مكان
يا لعنة الأقدار هل يؤم جمعنا	مقنع بالطهر والمحاسن
ويستحيل الربيع كالغاب الذي	ترتاده الوحوش والدواجن
وا إسلاماه وا إسلاماه فينا	ضعت وضاعت روعة المآذن
حين يموت الود في الضمائر	وتفقد الرحمة قلبا فاتر
حين يذوب العرف والسجايا	وتبطف الأجلاف بالحواضر
حين تزغرد النساء للذي	يروم غدرا والعدو غادر
حين يكون العنف من سلوكنا	وتبدل الحكمة بالزواجر

ويسقط الجوار من أخلاقنا ويستحيل الجار وحشا كاسر
ويعجز الإسلام عن إيوائنا وجل ما في ديننا ظاهر
أبحث عن هوية تحضنني بين رعايا الروم والبرابر
وتصبح اللحية عندي وهما ويصبح القميص غير ساتر
ويصبح الشعار قولا مفرغا بلا مبادي وبلا مشاعر
وتصبح الردة حلا والذي ينقذني هو الغوي الماكر
وأرتدي قبعة لأنها رمز الرقي سمة الحواضر
وا إسلاماه وا إسلاماه فينا كنت عزيزا عندنا والآمر¹

تكلم الشاعر في هذه القصيدة عن أحداث وقعت في مدينته غرداية، في جوان سنة 1985م، لتتجدد فيما بعد مجسدة في صورة انحطاط الإنسان وتمرده على عقله وفكره ومحيطه وعدم التزامه بقيمه الإنسانية والدينية الإسلامية، وبصيغة استغائه "وا إسلاماه" عبر الشاعر عن ألمه وحسرتة على ما حدث، لهذا الإنسان جراء ابتعاده عن دينه وعقيدته السمحة، وتوظيفه للجهاد والدين بصورة مغلوبة تماما وتتنافى والإسلام ومبادئه ولا ثمت بأية صلة له، كالقتل والتخريب والحرق والتدمير.

فإنسان المسلم ترفع عن فعل هذه الأفعال الوحشية فهو مكرم بعقله وفكره ينفع نفسه ومحيطه وملتمزم بقيم دينه وعقيدته التي تقول "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" وكأن الإنسان ينسلخ من زي الإنسانية ليرتدي زي الوحشية راميا بتعاليم الدين الإسلامي عرض الحائط ومدنسا القيم والأخلاق وهذا ما أثر وبشكل واضح وعميق في نفس الشاعر فنظرته الصارخة بالحزن والأسى وخيبة الأمل واندام الثقة لا تتفك تبرز في القصيدة فقد استطاع الشاعر إيصال مشاعره التي تتم عن الألم والحزن من خلال توظيفه لكلمات زاخرة بأصوات مهموسة خفيفة ضعيفة دالة على مدى حزنه العميق مثل:

¹ - عمر بن باحمد هيبية: «قلب وحجر»، ص: 15، 16، 17.

(باسم/تستباح/المواطن/سقطت/يستحال/يستحوذ/الماكر/صروح/وإسلامه/كاسر)؛ أما عن اللغة الشعرية التي استخدمها الشاعر في بادئ الأمر هي لغة بسيطة سهلة تخلو من الألفاظ والكلمات الغريبة ذلك لأن الشاعر في حالة ألم وحسرة لما آل إليه الإنسان والإسلام فهو يعكس ما في نفسه من آلام وحزن متخذاً من الشعر أداة في ذلك .

ومن الأمثلة الدالة على لغته البسيطة قوله:

وسودت أخوة حميمة بيضاء كالحمام¹

وقوله أيضاً:

وأصبح الرجال كالأقز ام كالسراب كالنعال²

كما أن لغته تعتمد على التبسيط والتوضيح المفصل المعتمد على التشبيه ، فهو ينظر إلى اللغة من الناحية الفنية والجمالية مما جعل لغته تثير الإحساس وتحرك العاطفة والوجدان لدى المتلقين، وكذلك قد اختار بعناية ووفق في اختياره لحروف القافية والروي الذي تغير على طول القصيدة من نون إلى ميم مرة ثم راء وإلى لام مرة أخرى ليدل هذا الاختلاف على مدى التغيير والتناقض الذي يعيش فيه الشاعر .

وكذلك نجد في قصيدة "نعمة العقل وقمة التكليف" والتي يقول فيها :

الحكم من دون الكتاب سراب	والحكم من غير الدول سباب
الله شرع للأنام شريعة	وأتى نبي ثم جاء كتنا
هذا كتاب الله نور قلوبنا	وهو الإمام إذا أحاط ضباب
والسنة السمحاء تحدد دائماً	حدو الكتاب وما يعد صواب
قد ميز الله الخليقة بالنهي	والعقل حادي للكرامة باب

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:16.

² - نفسه، « قلب وحجر»، ص:18.

الله قدم للجبال أمانة	فأبين والسب الشداد غلاب
والأرض مثلهم أجابت ربنا	أن الأمانة جمره وعذاب
فتجرأ الإنسان يصغر ثقلها	فاستقبلته عوارض وصعاب
وتحمل الإنسان عبء رسالة	عبر الزمان وكم له أتعاب
يا أيها الإنسان لبك فارغه	ثقل الأمانة شدة وحساب
يا أيها الإنسان لو أهملتها	دون الأداء مشقة وعقاب
يا أيها الإنسان لو أدبتها	بعد الأداء مسرة وثواب
الله قسم في الخليقة فضله	ذا حظه عقل وذا أنياب ¹

وقد ألقاها الشاعر في عرس داودي الحاج بن دحمان بن محمد بتاريخ 1984/11/24م وقد أبرز فيها إعمال العقل وتفكير الإنسان منذ القدم بالسعي لجعل حياته أكثر راحة وأمان بالانتقال من الأرياف إلى المدن والاستقرار بها ومثل ما يسعى الإنسان لعيش حياة كريمة لا بد له بأن يسعى لحياة روحية متشعبة بالشريعة الإسلامية وملزما بها وبتعاليمها فلاسلام بدوره يحث على إعمال العقل والتدبر في خلق الله والتقرب منه واللجوء للقرآن الكريم فهو خير دواء للنفس.

يرى الشاعر بأن العقل أمانة من الله وجب حسن استخدامها والحفاظ عليها لعيش حياة أكثر قربا من الله ولنيل رضاه والظفر بثوابه والخوف من عقابه وقد استطاع الشاعر تصوير حياة الإنسان الذي يصون ويهتم بأمانة العقل ويستخدمها لتسهيل أمور حياته وفي تطوير مجتمعه ورفي بلده، في قالب بسيط من الألفاظ القوية مثل: (الحكم/العدول/السماح/أمانة...) المفهومة وبجملته من الأفكار المتناسقة والمرتبطة كما وكان تأثير حرف الروي الباء القوي الشديد سمة بارزة في إضفاء حس القوة والشدة فيما تعلق بحسن استخدام نعمة العقل التي خصنا وميزنا الله بها عن بقية مخلوقاته وخيبته أمله فيمن أهملها دون أداء .

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص: 174، 173.

وكذلك نجد قصيدة "ذكرى يوم العلم " التي قال فيها:

بذكر رجال العلم يهتز وجداني

وذكر رجال السيف تعزز أوطاني

يذكرني بالعلم إشراق نيسان

فأذكر بالإكبار أعلام أوطاني

تحفزي الذكرى لأذكر من مضى

جهاذة في العلم رمز للعرفان

مضى بهم وقت صيب بربعهم

فلم يثتم ظلم ولا قهر سلطان

وقد قلدوا للدهر عزما وقوة

كما بلغوا العليا بعلم وإيمان

هم جعلوا وعر السبيل مسالكا

وهم فجروا نبع العلوم لظمان

بلادي إذا الأتوام فاقوا بمجدهم

فأنت اليد الطولى وأشرف بنيان

فرغم فلول الشر والظلم إننا

رفعنا لواء النصر في كل ميدان

فإن بربروا صدق لدى اللقا

وإن عربوا فالعرب رمز لعدنان¹

¹ - عمر بن باحمد هببة: « قلب وحجر»، ص: 147، 146

ألقى الشاعر هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم بالملحقة (الشيخ صالح داودي) ليلة أبريل 1989/04/22م بمناسبة يوم العلم، حيث بين فيها ضرورة طلب العلم والمعرفة والتحصيل المستمر والسعي لارتقاء الأمم وازدهارها فلا يكون إلا به وأشاد واعتز برجال العلم والسيف الذين أنجبتهم الجزائر أمثال عبد الرحمان بن رستم وآل يقضان، ويوغرطا زعيم الأوراس وملك نوميديا محطم أطماع الغزاة، وعبد القادر الأمير الجزائري المجاهد الذي رفع الحق عاليا ونادى الشعب للقداء، وعبد الحميد ابن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين ودوره الفعال فيها وسحر فصاحته التي أشعت على الدنيا علما ونورا وإيمانا، وجهود الشيخ أطفيش في الشريعة الإسلامية بوادي ميزاب في قوله:

جزائر أنجبت الذي يشغل الورى

من المجد والأبطال والقدر والشأن

تباهي بها الدنيا لتعلم أننا

بنينا حضارات على بعد أزمان

فدولتنا العظمى بتيهرت مجدها

على أسس التقوى بنى عبد الرحمان

يوغرطا زعيم مثل الأوراس شامخا

يحتطم أطماع الغزاة كبر كان

وينفخ في روح الامازيغ ثورة

ويجعل روما في مغبة أحزان

ويرفع عبد القادر الحق عاليا

زمالته تبدو كأعظم إيوان¹

وسرتا تحوز الفخر والعلم والعللا

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص: 247.

بعبد الحميد الشهم رائد عرفان

فصاحته المثلّى بسحر بيانها

تشع على الدنيا بعلم وإيمان

وجمعية للعلم قامت بريعنا

لتحمل رايات الفصاحة و الشأن

وترجع للفصحى كرامتها التي

تناست مع الأيام في عهدها القاني

واطفيش في وادنا علم الهدى

له قدم في كل فن وميدان

حديث رسول الله فقه شريعة

وإصدار فتوى ثم تفسير قرآن¹

والإسلام بدوره حث على ضرورة السعي لطلب العلم وأشاد ورفع من مكانة العلماء بين الناس فأول ما نزل من القرآن الكريم في سورة العلق قوله تعالى: « اقرأ بسم ربك الذي خلق الإنسان من علق إقراء وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم »²

فالعلم فريضة دينية وضرورة دنيوية وواجب على كل مسلم، فالشاعر يرى بأن العلم هو الهدف الأسمى لحفظ كرامة وعزة الأوطان، ويدعوننا بأن نعتز بأئمتنا وعلماءنا الجزائريين والافتداء بهم والسير على خطاهم في طلب العلم والمعرفة لبناء وريقي بلدنا الجزائر، كما ونلاحظ بأن عمر هيبية بدأ قصيدته بتصريح في البيت الأول بين كلمتي و(جداني /أوطاني) الذي أضاف نوعا من التأثير في نفس القارئ.

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص:149،148.

² - سورة العلق: الآية 1،2،3،4،5.

ومن خلال القصائد نستنتج بأن الإسلام هو المنهج الفكري التوحيدي القويم الذي وصلنا عن طريق الفتوحات الإسلامية فتبناه أسلافنا الأمازيغ قديما فوحد أواصرهم بالعرب وهذب نطقهم ولسانهم فاعتزوا به وافتخروا بمبادئه التي تدعو إلى السلم والأمن وحب الوطن وطلب العلم والعدل والمساواة وكيف أن البعض ينحرفون عنه بتصرفاتهم الوحشية كالفتك وقتل الشعب ونشر الرعب والخراب والتي لا تمت لا بالدين الإسلامي ولا بأخلاق المسلمين بصلة ، وكيف أن الأعداء يشككون ويطعنون في ديننا الإسلامي وهذا ما أورده الشاعر في هذا الجزء الذي خصصه للحديث عن الإسلام، وبين فيه مدى اعتزازه بإسلامه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتحسر لما آل إليه الوضع خلال العشرية السوداء.

2/1 المبحث الثاني:

تجليات العروبة في ديوان " قلب وحجر "

العروبة:

لغة:

ورد في قاموس المحيط لمادة "عرب" بأن العَرَب: خلاف العجم، وهم سكان الأمصار، والأعراب: سكان البادية، وعربي: بين العروبة، والإعراب الإبانة والإفصاح، وعُروبة: وباللام (العروبة) يوم الجمعة، والعربة: النهر الشديد الجري، وأقامت قريش بعربة فنسبت العرب إليها، وهي باحة العرب وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل عليه السلام، ويعرَّب بن قحطان: أبو اليمن قيل أول من تكلم العربية، وتعرَّب: أقام في البادية¹.

"العروبة (مفرد) اعزَّب، اسم يراد به خصائص الجنس العربي ومزاياه" جامعة العروبة - تعبير عن العروبة الأصلية". القومية العربية "يفخر العرب دوما بعروبتهم"².

كما عرفه معجم اللغة العربية الكلاسيكية المعاصرة بأن "العروبة تعني خصائص الجنس العربي، كون الشخص أو الشيء عربياً"³.

جاءت العروبة في اللغة المعاصرة "بمعنى القومية العربية، والهوية العربية، أي كل ما يميز العرب ويعطيهم هويتهم، والعربي هو من كانت لغته عربية وعاش في أرض عربية، أو تطلع إلى الحياة فيها، وآمن بانتسابه إلى الأمة العربية."⁴.

اصطلاحاً:

¹ - الفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد: «قاموس المحيط»، مادة عرب، دار الحديث، القاهرة، ج1، (د. ط)، (د.ت)، ص: 102.

² - أحمد مختار عمر: «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، ط1، ج4، القاهرة، 2008م، ص: 1477.

³ - يوسف محمد رضا: «معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة»، مكتبة لبنان الناشر، (د.ط)، (د.ب)، (د.ت)، ص: 1095.

⁴ - محمد عبد العزيز الشايق: «القومية في ميزان الإسلام»، جامعة الإمام بن محمد بن مسعود الإسلامية، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، المملكة العربية السعودية، 2010م، ص: 8.

أما في المعنى الاصطلاحي للعروبة فإنها ترادف معنى القومية العربية، وهناك من ينادي بفك الازدواج بين العروبة والقومية العربية ومن بين هؤلاء الكاتب العراقي حسن العلوي حيث وصف العروبة والقومية العربية بالتوأم الوهمي.

فالعروبة انتساب إلى العرب وتعني فقط الانتساب المجرّد عن المعنى السياسي، فمن الممكن للإسلامي أن يكون عروبيا وللماركسي أن يكون عروبيا لأن العروبة مجردة من المعنى السياسي فهي شعور بالانتماء، أما القومية عند البعض تعني القوم المنحدرين نسبا من صلب جد واحد، ومع التطور التاريخي انسلخ مصطلح القومية عن جذوره فأصبح معناه قريبا من معنى الأمة، وأصبح ذا دلالة سياسية، والقوميون العرب يؤمنون بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة والثقافة والتاريخ والدين الإسلامي.

أما الأمة فتتمثل في جماعة من الناس يرتبط أفرادها بروابط معينة مثل اللغة والتاريخ أو الجنس...من ناحية والمصالح المشتركة والغايات الواحدة من ناحية أخرى، ويقطنون بقعة من الأرض حتى لو لم يخضعوا لنظام سياسي معين، والأمة هي كل الأجيال السابقة والمعاصرة بل واللاحقة أيضا أي هي كل المواطنين الأحياء والأموات بل ومن لم يولد بعد فهي الماضي والحاضر والمستقبل، فهي تسمو على الشعب الحالي للدولة ووجودها يسمو على وجوده، لأنها توجد قبله ومعها وبعده، أي أنها مستمرة بعد انقضاء الجيل الحالي للشعب.¹

" فالفرنسيين طوال استعمارهم لبلادنا الجزائر لم ينكروا علينا صفة مسلم، بل كانت هذه الصفة مثبتة في بطاقة التعريف الجزائري إلى جانب صفة فرنسي، ولكنهم أنكروا علينا صفة عربي، وأرادوا محو هذه الصفة، فبغض النظر عن الأصل العربي للبربر، فإن أربعة عشر قرنا كافية وكافية جدا لكي يصبح سكان المغرب العربي كافة عربا، سواء كانوا ناطقين بالعربية وهم الأغلبية، أو البربرية وهم الأقلية، قال البشير

¹ - ياسين جبار الدليمي : «العروبة أو القومية العربية»، دار الراصد، مجلة مستقلة منبثقة من أمانة الشؤون الإعلامية في حركة الناصرين المستقلين قوات المرابطون، 2013/11/1، alrassedonline.com، 2020/07/7، (10:35).

الإبراهيمي في عيون البصائر بأن كل هذه العوامل صيرت هذا الشمال الإفريقي عربيا قارّ العروبة، على الأسس الثابتة من دين عربي، ولغة عربية، وكتابة عربية، ومنازع عربية.

وجاءت الجغرافيا الطبيعية فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة، من جزيرة العرب، وجاء الزمن بثلاثة عشر قرنا تشهد سنوها وأيامها بأنها فرغت من عملها، وتم التمام ووقع الختم، وأن عروبة هذا الوطن جرت في مجاريها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه، ولم يشنها عنف، ولم يؤثر فيها عامل دخيل، ولم تقم على تحيل أو استغلال، وإنما هي الروح عرفت الروح، والفطرة سايرت الفطرة، والعقل أعدى العقل، وكأن الأمم التي تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب، كانت مهياًة للاتصال بالعرب، أو كأن وشائج من القربى كانت مخبوءة في الزمن، فظهرت لوقتها، وكانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها¹

وعمر هيبه كغيره من الشعراء الجزائريين المعاصرين المبتخرين بعروبيتهم فقد تجل ذلك في قصائده والتي تناولت العروبة بأشكالها مختلفة ضمنها وزين بها ديوانه ونذكر من أهم القصائد التي مثل بها الشاعر العروبة قصيدة "النخلة" التي ترمز للوجود العربي والتي يقول فيها:

أعانق أجواءها الصافية	أتيه مع النخلة العالية
مع البدر في الليلة الزاهية	مع النجم يسبح عبر الفضا
فتحرس أسرارها وأقيه	مع الشهب تغزو ظل السما
فتمتص إشعاعها الرابيه	مع الشمس تشرق حول
تلق طالعة هاويه	مع الطير تهوى جمال العلا
وفي حقب الأعصر الماضيه	أيا نخلة حار فيك النهى
وكان في الأعصر الخاليه	فما قصة الأرض والغابرين
لكنت لشاعره راويه	فلو كان هذا الزمان نشيدا

¹ - عثمان سعدي: «البربر الأمازيغ عرب عارية»، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2018، ص:161.

ولو تكشفين خبايا الزمان	لبحت بأسراره الخافيه
فلولاك ما كان عيسى يحوز	مريم بالرطب الجانيه
تساقط تمر بهزة جدع	فأويت مرضعة جاثيه
وآزرت فتح النبي الكريم	وكننت المؤونة للساريه
وكننت لأرض العروبة حسنا	كما يجمل الوجه بالناصيه
أيا نخلة كنت كل الجمال	لصحرائنا روعة ضافيه
لواحتا جنة نضرت	فزاننت بك الأرض والباديه
فلولاك ما نشأت بلدة	ولا عمرت هاهنا ناحيه
فكننت كوشم ومن رام نزعا	تجرع من نزه القاسيه
ولا امتدت الأيدي تبغي بها	قطوفا بعرجونها دانيه
فتجني لذيداً وتطعم شهدا	فتغدو و تنعم بالعافيه ¹

وفيها تحدث عن النخلة التي تمثل معنى الانتماء للهوية العربية الاسلامية، بالاعتبار شجرة النخلة عربية الأصل فمنذ القدم ارتبط الانسان العربي بها وفضلها لما لها من ميزات تتلاءم وبيئته الصحراوية كما وأنه استظل تحت ظلها وتنفع بها واستخدمها في حياته بكثرة واتخذها زينة و اعتبرها من أجمل أشجار العالم، بالإضافة إلى ذلك فلقد تشرفت وأن ولد المسيح عند جذعها وذلك استنادا لقوله تعالى: [فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي وَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ سَرِيًّا، وَهَرِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا]².

ومنطقة غرداية كباقي مناطق الجنوب الجزائري زاخرة بواحات النخيل وعنها قال الشاعر:

أيا نخلة كنت كل الجمال لصحرائنا روعة ضافيه

¹ - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:173.

² - سورة مريم، الآية: ص،ص:25،22.

لواحتنا جنة نضرت فزانت بك الأرض والباديه¹

وهذا ما دل على ارتباط شاعرنا ببيئته التي كثرت فيها أشجار النخيل التي ترمز للمقاومة والشموخ والصمود والسمو والصبر وللعطاء و يرمز اخضرارها الدائم للحياة والاستمرارية وهذا ما يدل على ارتباط شاعرنا ببيئته التي كثرت فيها أشجار النخيل، وقد أجاد الشاعر وصف شجرة النخلة المباركة التي هي رمز للهوية العربية فجمال البادية مختزل فيها وفي سموها وثبات جذعها وشموخها وفي عطائها وصمودها وفي ثمارها وعراجينها الدانية وفي كل ما تحمله استطاعت أن تشكل لوحة فنية وتضفي حسنا على الأرض العربية وتزين واحاتها الخالية، بلغة بسيطة مفهومة.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "الجزائر" تغنى فيها ببلده وافتخر بشعبه وبثورته العظيمة التي تكلفت في نهايتها بالنصر والحرية، التي سلبت من الشعب الجزائري لما يقارب 132 سنة، حيث قال فيها:

جزائر يا صولة القدر	ويا قصة المجد والظفر
ويا نخلة نبتت في الجحيم	فأغدقت الجني للتمر
ويا لوحة دنستها الطغاة	فتصفو من الرجس والكر
تصارع حولك بطش الزمان	وفرض الإرادة للبشر
فمهما تعالت صروف الزمان	ودمدمة الشر والخطر
تصدى لقهر الضراوة والحر	وأسفر عن ردة القدر ²

وفي هذه الأبيات تحدث عن بلاد الجزائر وكيف كانت عرضة للغزو عبر التاريخ فقد شهدت البلاد عدة حملات استعمارية منها رومانية ووندالية وبيزنطية وآخرها الحملة الفرنسية التي تكلفت في الأخير بانتصار للشعب الجزائري بفضل جهود أبناء بسلاء ضحوا بالنفس والنفيس من أجل القضاء على هذا الكيان الغاشم.

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:137.

² - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:142.

ويقول فيها أيضا:

بلادي كتاب جليل المعاني عديد المعاني والصور
يحدثنا عن سواد الليالي وعن قسوة البطش والغير
وعن نكبات انعتاق الشعوب وفتك الجهالة بالفكر
عن القمع عن زفرات العذاب وعن تخمة السجن بالزمر
يحدثنا عن صمود القلوب وعن قوة العزم في البشر
عن الحر يصلى عذابا مريرا فيسخر في لفح ذا الشرور
عن المرء يطوى بأعتى القيود فيصمد للشر كالحجر
وعن نسوة قد رفضن العدا وعفن التستر بالخور
وعن صبية شحذوا عزمنا برغم الطفولة والصغر
عن الشيخ يمضي خفيفا أبيا وقد هزأ الشيخ بالكبر
فما كان قيذا ورود الوغى ولا كان وقفا على العمر
وما طبعنا غير قلب جريء وصدق البصيرة والبصر
وروح العقيدة تدفع جندا لكسب الشهادة والظفر¹

ليواصل الشاعر التحدث عن كفاح الشعب الجزائري المرير وتحديه لهذا الاستعمار الغاشم ومشاركة شرائح المجتمع من نساء وأطفال وشيوخ في الدفاع عن هذا الوطن والتسابق لظفر بوسام الشهادة والاستشهاد في سبيله، يتكرر هذا المعنى على طول القصيدة .

وفي قصيدة بلادي هي الأخرى تحدث فيها عن وطنه الجزائر وعن التنوع الجغرافي الذي جعل منها مطمعا لكثير من الأعداء وفخر الشاعر ببلده وبجمال ريفه وكرم شعبه.

¹ - عمر بن باحمد هبية: « قلب وحجر»، ص: 143

صنعنا بهم أمة ذات عز وعز الجزائر مد البصر
من أجودنا في الحياة عطاء ومن بالشهادة منا ظفر
بشيخ له خبرة في الحياة يعاني من العيش فرط الكبر
وطفل وليد يقدم عمراً فداء الجهاد معمر الزهر¹

ونجد عمر هيبه كغيره من الشعراء الجزائريين ملتزماً بقضايا أمته وعصره، فنجده قد كتب عن العراق

قصيدة بعنوان "العراق الجريح" والتي قال فيها:

أوقفوا هذا الزمان العربي وارفضوا الحل الذي للأجنبي
طهروا الأرض وصونوا شرفاً بات موصوما بصدر البدوي
بات يشكوا أمة طاشت بها نزعات الغرب من كيد خفي
يا زمانا تصبح الردة عنوانا وعهد الغرب عهدا قدسي
يا زمانا تصبح القبلة بيتا أبيضاً والحق يعطى للقوي
أمريكا شرعة محكمة وفرنسا قبلة للعربي²

بطابع مليء بالحسرة والأسى صور الشاعر الكيد الخفي الذي يكنه الغرب للعرب وكيف أنه يترصد له ويغدر به ويدمر كل بصيص أمل تراءى له في الأفق، بحياكة مكيدة للعراق بزعم أن بحوزته أسلحة الدمار الشامل وبإمكانه ضرب إسرائيل وغطرستها ليلتفت العالم الغربي وبعض دويلات العالم العربي التي أصبحت وصمة عار على الأمة العربية وتخلت عن العراق وطعنته بسبب هذا التهديد المزعوم لتبدأ معه معاناة الشعب العراقي الذي تعرض لأبشع أنواع البطش والفتك والتدمير والخراب.

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص:128.

² - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:189.

ورغم كل هذا واصل العراق إصراره بصبر، فالشاعر كان حب العروبة متأصلاً فيه بحكم ثقافته ونشأته فقد بين مساندته للعراق الذي أصبح جريحاً وبين مساندة الشعب الجزائري للقضية العراقية فقد أظهر تعاطفاً ونخوة واضحة في الأبيات الأخيرة لهذه القصيدة حيث قال فيها:

وجوار سقطت أعرافه	فاستحال الود حقداً قلبي
يا عراق المجد في معرنا	نتلظى نذرف الدمع القوي
ويذوب الحر منا كمدماً	فيصير البطل الشهم الصبي
جرحنا أصبح نزيفاً مقلماً	وحدادا الشعب أضحي وطني
وعراق المجد يبقى مثلاً	للتحدي والإباء العربي
وعراق المجد يبقى مثلاً	فيضك الساحر سر أزلي
يا فرات الطهر كوني بلسماً	وامسحي الضيم الذي حل بي ¹

ونجده أيضاً في قصيدة "الفلستيني" التي شارك بها في الأسبوع الخامس لبلدية غرداية أبريل 1983، بسينما مزاب بغرداية حيث عبر فيها عن مساندته ومساندة الشعب الجزائري للقضية الفلسطينية وباعتبارها أولى القضايا العربية الإسلامية التي لا طالما أيدها الشعب الجزائري ونصرها، مقتبساً مقطعها الأول من بيت الشاعر الفلسطيني محمود درويش "يوميات جرح فلسطين" وهذا يبرز مدى تمكن وإطلاع الشاعر وثقافته والتزامه بقضية فلسطين، حيث يقول فيها:

ليس لي قصر وما بيت أبي	غير كوخ سقفه من حطب
غير كوخ بابه من حطب	ليس لي شمع لميلاد نبي
لا ولا أغنية للطرب	كل ما أكله لقمة من سغب
كل ما ألبسه بردة من تعب	

¹ - عمر بن باحمد هبية: «قلب وحجر»، ص: 192.

غير أن الشمع مثلي تذرف الدمع لأجل أنني أحمل ثقلي
فوق شوك فوق وحل فكلانا رمز ليل طال في هم وويل
وكلانا رمز جهل يعترينا طيف قتل فذبحنا ذبح عجل
وقتلنا شر قتل وكلانا رمز ذل بات في غيظ وغل¹

وضح في هذه القصيدة مختلف جرائم الصهاينة من قصف همجي وفوضى واستبداد وما نتج عن ذلك
من مجازر بحق الشعب الفلسطيني الأعزل،

أين قومي من خليخ العربي للمحيط المغربي
أينهم من عدن من حلب أينهم من قطر من يثرب
أينهم من مضر من تغلب من بني ذبيان أهل النجب
من بني عدنان خير النخب من ذري لبنان من سفح دبي
إن يكن يملك ذرة وقنابل أو يكن يملك قهرا وجحافل
طائرات وسلاسل وسجوناً ومقاصل
أصدقاء في المحافل
فأنا أملك أقوى من سلاسل وزلازل
هو إيمان مقاتل²

وفي نفس القصيدة نجد الشاعر في أبيات أخرى بأنه يستجد بالقبائل العربية وبالغرب من الخليج
العربي إلى المحيط الأطلسي، لمساندة الشعب الفلسطيني في قضيته والتضحية من أجلها، فبقي صامداً أمام
الاحتلال الصهيوني وطغيانه وقوة جبروته وقد شكل إيمانه بقضيته سلاحه الأقوى ضد هذا الطغيان المستبد،
وفي الأخير ختم هذه القصيدة ببناء إلى كافة العرب أين ما وجدوا بأن يأمنوا بالقضية الفلسطينية فهي لا

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص: 180، 181.

² - عمر بن باحمد هببة: « قلب وحجر»، ص: 182.

تقتصر على فلسطين فقط بل اتسعت لتشمل العرب ككل فهي قضية عربية قبل أن تكون فلسطينية، والدعوة لاحتضانها فهي أمانة في أعناقنا كمسلمين وجب مساندتها حتى النصر.

بقوله:

ارفعوها أيديها أحضنوها طعموها بالقرار العربي¹

وفي نفس القصيدة يقول:

اعذروني وافهموني إنهم قد سرقوا مني النبي

أحرقوا تاريخ جدي العربي

لطخوا وجه علي كسروا سيف عمر

جردوا خالد من سلطته وصلاح الدين من هيئته

أنكروا تاريخ سعد وعبيدة ثم عقبة أركبوه فرسا من خشب

ثم طارق جعلوا موكبهم من قصب²

حيث أشار الشاعر فيها إلى محاولات الفاشلة لإذلال العرب وطمس غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم والفاتحين والصحابة وأبطال الإسلام وتشويه التاريخ العربي ورموزه التاريخية.

إن العروبة والإسلام يمثلان وجهين لعملة واحدة وهي الهوية الوطنية الجزائرية، فيدون هما لا وجود للهوية الجزائرية، استطاع عمر هيبه من خلال هذه القصائد التي تناولناها أن يظهر مدى اعتزازه بامتداد التاريخ الجزائري والعربي الحافل والمليء بالانتصارات، وبين كيف أن الطعن والمساس بعروبتنا يشنت وحدتنا ويفكك لحمتنا والتي لا طأ لما حاربها أجدادنا ونبذها إسلامنا، وبين بأن هذه الأرض جزء من دمائنا وفوق أديمها أقامت عربوتنا وملتنا وأن الجهاد من أجل هذه الأرض يشرفنا، ودعا في نفس الوقت بالدفاع عن

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص: 185.

² - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص: 83.

أصالة تراثنا ولغتنا العربية، وتلبية نداء الأخوة بين دول الوطن العربي فالعربية تجمعنا ودين الإسلام يوحدنا
والتاريخ المشترك يربطنا.

3/1 المبحث الثالث:

تجليات الأمازيغية في ديوان " قلب وحجر":

الأمازيغية:

لغة:

إذا نظرنا إلى كلمة " أمازيغ " من منظور عربي، فنرى أن معظم القواميس العربية القديمة والحديثة لا تشير إلى هذه الكلمة، ولا إلى مشتقاتها مثل: مزغ، أو أمزغ، أو مازغ، والكلمة تذكرها المعاجم تؤدي إلى نفس المفهوم تقريبا هي: مزر، أو أن الاسم الحقيقي للأمازيغ هو "مازر"، وجمعه أمازر والمزير: الشديد القلب، وهذا التغيير في حرف الغين إلى الراء ربما يعود ذلك إلى مسألة التبادل بين الصوتين الغاء والراء.¹

كلمة "أمازيغ" مفرد جمع على "إيمازيغن" ومؤنثه "تمازيغت" وجمع المؤنث "تمازيغين" ويحمل هذا اللفظ في اللغة الأمازيغية معنى الإنسان الحر النبيل أو ابن البلد وصاحب الأرض، ويجعلها بعضهم نسبة لأبيهم الأول مازيغ.²

اصطلاحا:

واتفق المؤرخون على معنى كلمة "مازيغ" والتي يقصد بها الرجل الر، أو الرجل النبيل أو الشريف أما كلمة "بربر" فهي دخيلة على اللغة الأمازيغية، أطلقها اليونان على شعب لا يتحدث بلغتهم ومن بين هؤلاء نجد الأمازيغ والجرمانيين، غير أن تسمية البربر بقيت لصيقة بهم لغاية القرن العشرين الميلادي، وهي التسمية التي اعتمد عليها المؤرخ ابن خلدون عند كتابته لتاريخ البربر إذ نجده يقول: و ما كان للبربر من الآثار ما تشهد أخباره كلها، بأنه جيل عزيز على الأيام وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مضاهون الأمم العالم وأجياله من العرب والفرس والروم.³

إذا فالتسمية الأكثر تداولاً بين الباحثين والدارسين ، للدلالة على البربر دائما هي كلمة "مازيغ" وبلاد الأمازيغ تمتد شرقا حتى غرب الإسكندرية المصرية وغربا حتى المحيط الأطلسي في بلاد المغرب الأقصى

¹ - رفيق حصير: «الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا دراسة حالة الجزائر والمغرب»، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، دراسات متوسطة ومغربية في التعاون والأمن، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2013، ص:15.

² - المرجع نفسه، ص:14.

³ - رفيق حصير: « الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا دراسة حالة الجزائر والمغرب»، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، دراسات متوسطة ومغربية في التعاون والأمن، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2013، ص:15.

وموريتانيا والصحراء الغربية والسنغال وشمالا البحر الأبيض المتوسط وجنوبا مالي والنيجر والتشاد والسودان فأمازيغ الجزائر يرتكزون وبشكل خاص في منطقة القبائل، شمالي شرقي الجزائر، حيث يتواجد هناك نصفهم تقريبا ويسمون أمازيغ القبائل كما ينتشرون في جبال الأوراس، حيث تقطن قبائل الشاوية، وهناك قبائل مزاب في الجنوب والطوارق الذين يتواجدون في الصحراء ولازالت إلى اليوم بعض المناطق في جبال القصور بالجنوب الوهراني واليزي وورقلة.

كما وأن واللغة الأمازيغية ماهي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة التي تفرعت من اللغة العربية الأم، والتي يعتبر مهدها الجزيرة العربية، ثم إن القبائل التي تكلمت اللهجة الأمازيغية انتقلت جميعها بلغتها إلى شمال إفريقيا، فهناك من حاول إرجاعها إلى أصل حامي مثل الفرنسي غوتيه وكارل ماينهوف ومحمد مكرم، في حين أرجعها البعض الآخر إلى أصول سامية حامية وتنتمي الحامية إلى اللغة الأكادية والبابلية القديمة وهي من أقدم اللغات.¹

كما قال محمد الميلي في كتابه عن ابن باديس وعروبة الجزائر " بأن الأصل البربري الأمازيغي للجزائر حقيقة لا يمكن نكرانها، وأن الأمازيغ من أبناء الوطن دخلوا في الإسلام وتعلموا لغة الإسلام العربية، طائعين فوجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتوحة في وجوههم، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وقاسموهم في مجالس العلم وشاطروهم السياسة والملك وقيادة الجيوش، وقاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية، وهكذا أصبحوا شعبا واحدا متحدا غاية الاتحاد ممتزجا غاية الامتزاج، وأي افتراق يبقى بعد أن اتحد الفؤاد واتحد اللسان."²

"فكان للأمازيغ دور فعال في الحضارة العربية الإسلامية، فهم السابقون لمساعدة إخوانهم المسلمين لمسيرة الفتح الإسلامي،" ودورهم المهم مع إخوانهم العرب في فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد، كما قامت لهم دول معروفة، من أشهرها دولتا المرابطين والموحدين، اللتان كان لهما دور كبير في توحيد الممالك

¹ - نفسه، رفيق حصير: «الأمازيغية والأمن الهوياتي...»، ص: 20.

² - محمد الميلي: «ابن باديس وعروبة الجزائر»، (د، د)، الجزائر، 2007م، ص: 47، 48.

العربية الإسلامية التي قامت في شمالي إفريقيا وبلاد الأندلس وإسهام هاتين الدولتين في نشر الإسلام في غربي إفريقيا.¹

لقد كان آخر مستعمر شهدته أرض الأمازيغ والمتمثل في العدوان الفرنسي الذي "أولى اهتمام خاص بمنطقة القبائل، وتبنى معاملة تفضيلية للأمازيغ وخصت أبناء المنطقة بتمييز عن غيرهم من إخوانهم العرب، لكن سرعان ما أخفقت السلطات الفرنسية في تحقيق أهدافها من خلال اتباع سياسة -فرق تسد - ذلك أنها عمدت إلى تهميش الأغلبية الناطقة بالعربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، بغية إعطاء فرصة لظهور نخبة أمازيغية مفرنسة تعتمد عليها في تمرير سياستها، لكن ما حصل هو أن هذه النخبة الأمازيغية الصاعدة عملت جنبا إلى جنب مع النخبة المعربة في تفجير حرب التحرير وبدل أن تثنيهم السياسة التفضيلية عن توجهاتهم الوطنية فإنها أكسبتهم موقعا طلائعيا في الحركة الوطنية، وبعد الاستقلال مباشرة بدأت المطالبة بإحياء اللغة الأمازيغية من قبل المنتمين إلى ذات الثقافة واللغة، فأدخلت اللغة الأمازيغية في التعليم بمنطقة القبائل، كما أنشأت المحافظة السامية للأمازيغية وقد تم إضافة برامج إعلامية إخبارية باللغات الأمازيغية المختلفة كالقبائلية والشاوية والمزابية، وتم إدراج البعد الأمازيغي كأحد مقومات الهوية الوطنية في الدستور الجزائري.²

والشاعر بدوره كجزائري أمازيغي اعتز بأبطال الأمازيغ الذين صنعوا التاريخ ببطولاتهم مثل يوغرطا وبين كيف أن الأمازيغ اعتنوا الإسلام وحموه وتعربوا تحت لغة الإسلام فقال في قصيدة "تحية إلى الثامن من ماي":

يوغرطا مثل أطلسنا شموخا ومثل البحر يرهب من أتانا

وصولته أمازيغ شداد على من هم يستهوي المكانا

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:23.

² - رفيق حصير: «الأمازيغية والأمن الهوياتي...»، مرجع سابق، ص:64،65.

وعقبة إذ أتانا كان عزاً
يحملنا الهداية والأماناً
ويرشدنا إلى الإسلام طوعاً
فأصبحت الرسالة في حمانا
وأصبح في عروق الشعب مصل
يصون الشعب يكسبه حصاناً¹

واعترز أيضاً بأصله وتاريخ حضارة أجداده السالفين الذين أقاموا دولتهم الفتية المستقلة بتيهت فنظم

فيها قصيدة بعنوان: " أشبال تيهت " فقال فيها:

تيهت يا موطن الأجداد في أمد
يستقرأ المرء سرا بات في الخلد
هل أنت حقا على عهد على كبد؟
وعزة الشأن هل من شيمة البلد؟
إني إن عصفت في أمرها غير
لموقن أن نسل القوم ملك يدي
وفتية تملأ الآفاق نيرة
وعزمها لم يزل في الدرب معتمد
ما بين منشغل بالكسب يطلبه
وبين معتصم بالعلم مجتهد²

ويفتخر الشاعر عمر هيبه بانتمائه لميزاب و بنسبه وبمذهبه مشيرا إلى المنظرين الأوائل والدعاة لمذهبه

بالعراق وحضرموت وعمان وامتدادا إلى الدولة الرستمية بتيهت في الجزائر وجبال نفوسة بليبيا والقيروان

وبين كيف أن الفتنة أطاحت بالإمامة الرستمية فقال في قصيدة " الامتحان ":

تغوص جذوري بالرافدين
وتشمخ بالغرب كالسنديان
بأرض العراق ينام جدودي
وفي حضرت وربع عمان
تطول جذوري لمشرق شمس
فتعتنق الشمس في خرسان
ويزهو فرعي في جبل
جبال نفوسة والقيروان
وجرية في لجة البحر تجثو
وتاهرت تحرسها بالحنان

¹ - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:151.

² - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:44.

وتسقط تاهرت أوراقها وينخر عزتها الشنآن
ويتعبها الدهر بعد شموخ وأبهة واستقامة شان
فخرها العز حيناً ولكن يضمّد أحزانها ورجلان
مزاب الذي كان جهد دعاة وثمره طول العنا والرهان
مزاب الذي كان جترح السنين توالى عليه صروف الزمان¹

وفي قصيدة جاء "الحق وزهق الباطل" والتي بين فيها كيف أن الجزائر كانت مهد لحضارة الدولة الرستمية والتي أقيمت بمدينة تيهرت تيارت حالياً، وبعد تيهرت كانت ميزاب الملجأ الذي انتقل إليه الإباضيون بعد سقوط الدولة الرستمية فقال فيها:

جزائر يا أم أرواحنا

عليك اعتقنا الهدى واليقين

عليك ابن رستم شيد صرحا

وخلد ذكراك في الخالدين

بتاهرت قامت منارته

تشع العلوم بربع أمين

ميزاب لنا بعد دولته

ملاذ أمين وحصن حصين²

وفي قصيدة "عهود وجهود" حيث يصف حضارة ميزاب وأسرارها العمرانية والقيم الاجتماعية السامية وعن التكافل الاجتماعي الموجود بين أفراد المنطقة، فمنطقة وادي مزاب تتميز بطبيعتها وجغرافيتها وعمق تاريخها، مما جعلها تكون حضارة بذاتها، فأورد الشاعر يقول:

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص:20.

² - عمر بن باحمد هببة: « قلب وحجر»، ص:179.

يا خير مجتمع تسمو به القيم
من صلاح وغير الشرع في رصد
لن تلق أرملة تكلى، وضائعة
تشكو الهوان، ومهموما على كمد
ولست تلق يتيما ذل، في كنف
من الرعاية يحيا غير مضطهد
ميزاب يا وطننا شاعت مكارمه
وضوعت بأريج الخير في مدد
ميزاب يا لوحة لاحت محاسنها
لا يفقه الحسن غير الذوق والخذ¹

وفي قصيدة "خصال ورجال" قال:

مذهبي مذهب النبي وقومي
أوثق الناس بالنبي اتصالا
فالحميراء وإن تأنت فيها
كل شيء فقد تفوق الرجال
أخذت شطر دينها من نبي
فغدت منهلا صفيا زلالا²

ونجده أيضا يعتز أيما اعتزاز بمدينته ومسقط رأسه بنورة في قصيدة "راعية الربيع" فقال:

بنورة عين تجيد الراسة
وتصدق منها الرؤى والفراسة
على الصخر قابعة من قديم
وثابتة في الرخا والشراسة
وصامدة عند يسر وعسر
ومهما تلون وجه السياسة
هي الصخر عند اشتداد البلايا
هي اللين عند الهنا والسلاسة
إذا عبس الخطب تصبح درعا
وتنفخ في الربيع روح الحماسة
هي البحر تهدأ حيناً وتقسوا
وترفض كاليم رفع الدناسة
فلم تك ساحا لفعل دنيء
ولم تك للجرم سوق نخاسة
وقالو بنورة قصر صغير
ولكنها عالم لمجيد الدراسة

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص:50.

² - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:25.

أزويل لها مورد من زلال وفي لبدعات رمال مداسة
وفي كل شبر لها قصة ختالة وسانف و وموركي وتاسه
يلوذ إليها كريم فيؤوى ويرفع عنه الأذى والنعاسة
يعيش بها مستجارا عزيزا ويحظى الهنا و الرضى و القداسة
وروح البساطة في الأهل طبع تظللها همة و كياسة
بساطة أهلي شموخ وعز وأهلي إذا احتدم الخطب ساسة
أيا مسقط الرأس موطن أمي وسلاما و ملء العروق قداسه¹

وقد وصف الشاعر فيها مدينته ومسقط رأسه بنورة التي تتربع على هضبة صخرية وكيف أنها شكلت درعا حاميا لأهلها وعن مكانتها وأهميتها الجغرافية التي تحتلها، حيث أنها تحتل موقعا جغرافيا هاماً، فقد استخدمت حدود المواقع الصخرية مع الوادي كقاعدة للمساكن المحصنة، مشكلة بذلك جبهة دفاعية حقيقية من الجهة الغربية، بارتفاع يصل إلى 20مترا، ومن الجهة العلوية تشكلت الحصون الدفاعية للقصر القديم الحدود الشرقية للقصر الحالي فهو مكان مرتفع وتسهل منه رؤية المناطق المجاورة والمحيط بها، لذا قال عنها الشاعر: عينا تجيد الحراسة؛ لأن كل ما حولها مكشوف تماما والرؤية سهلة وواضحة من منظورها.

كما تعد إحدى المدن السبع في وادي ميزاب، والتي صنفت ضمن الآثار العالمي سنة 1982م، ثم أُرْدِف يسرد أقاويل الجاحدين لفضل ومكانة ذلك الحصن الحصين من تراهات فارغة على أنها قصر صغير وما عابها صغر مساحتها، ولكن كان من مزاياها، ومما يثير العجب كيف لذلك المكان الصغير أن يكون بتلك الأهمية وهو بمكانته يمثل كل العالم لأولئك الدارسين المدركين لقيمته.

إلا أن بنورة تميزت بقوة أهلها وحبهم للعلم وقد ذكر بعض من أحيائها وما لها من ميزات كأزويل/ لبدوعات/ ورمالها الجميلة رقيقة المداس، ثم ذكر بعض الأماكن التي لها شأن تاريخي كختالة / وسانف/

¹ - عمر بن باحمد هبية: « قلب وحجر»، ص:7٠8.

موركي وتاسه، وكأنه يرد على المشككين بمكانة هذا الحصن بأن يطلعوا على قصص وتاريخ تلك الأماكن ليعرفوا مكانتها، ثم أكد على طيبة وكرم أهل بنورة التي كانت تؤوي الخائفين وتذليل أسباب خوفهم وما كان سببا في إيدائهم و تركهم لأوطانهم فكانت لهم ملاذاً آمناً والوطن بعد الوطن والأهل بعد الأهل والجار الظهير، ليعيش الإنسان بينهم بعزلته مستوفيا كل حقوقه فيتمتع بسكينة والهناء فلا يلقى من أهلها نصب أو شقاء فهم الأهل البسطاء فالخير دوما دأبهم لا يعرفون سبيلا سواه.

وهم أيضا أهل همة لا يكسلون ولا يتقاعسون عن واجباتهم وهم أيضا مع ذلك النشاط والمجهود والطاقة إلا أنهم يحظون بالكياسة والذكاء الفطري فلا يكون جهد بغير معنى فيكون الجهد موقفا مكللا بنتيجة وتغيير في الواقع وبالرغم من بساطتهم هم أهل للشموخ والعز بلا تكبر وكأن لسان حاله يقول هؤلاء قومي بهم أفخر فأنتي بهم إن استطعت ولا عجب في صنعة بل العجب ممن يعرف عنهم ولا يفتخر بهم.

كما كتب أيضا قصيدة بعنوان إلى "بنورة وأخواتها" والتي تحسر فيها وبروح تشاؤمية تتم عن الألم والحسرة لما آل إليه الوضع في مجتمعه إثر الأشياء الغريبة التي دخلته التي لا تمت له بصلة ولا بتعاليمه فيقول:

تغير وجه الزمان كثيرا وشان

أضعنا معالمنا وأضعنا الكيان

فأين مسيرتنا من زمان وأين هدانا¹

ونجد أيضا في قصيدة عشائر ومشاعر هي الأخرى افتخر في مطلعها بانتمائه لقريته بنورة وعشائرها الست (آت عبد الله/آت أسبع/ آت باكير /آت داود/ آت بادي /آت بهون) ثم شرع يتحدث عن بناياتها الجميلة المرتفعة واستخدام فيها أحدث ما تنتجه المخابر في بنائها وهندستها وأن كل هذا لا يهم وأن المهم من كل هذه الأشياء هو الأخلاق العالية لسكانها وحفاظهم على مبادئهم وثقافتهم وعقيدتهم وتراثهم الذي

¹ - عمر بن باحمد هبية: « قلب وحجر»، ص:34.

لا يقدر بثمن وتربية نشئها على حب الخير والوطن وعلى الأخلاق الفاضلة وتوحيد جهود أفرادها وتكافلهم
وتعاونهم فيما يحقق القيم الحضارية والإنسانية لبلوغ القمم وتحقيق الأهداف النبيلة، فأردف يقول فيها:

عشيرتي فيما مضى جماعة أصيل المفاخر
تاريخها يزخر بالمآثر
وعرفها مقدس محترم وقاهر أوامر زواجر
رجالها: أعلام في مراتب الفخار يوجدون¹

وقال فيها أيضا:

عشيرتي المناظر بناية جميلة
جوهرة تسمو بها الجواهر
هندسة راقية أفضل ما تبدعه الخواطر²
.....إن المهم هاهنا هل تعلمون
أن نجمع القلوب في أذهاننا ونلهم الضمائر
ونبعث المشاعر من أعماقنا ونعلي المشاعر
ونعصر الأفكار من أفكارنا ونترك المظاهر
...إن لم يكن من أمرنا صلاح ولم نجدد عملا مغاير
فعيشنا جهودنا أموالنا مظاهر³

¹ - عمر بن باحمد هيبية: « قلب وحجر»، ص:40.

² - نفسه، « قلب وحجر»، ص:40.

³ - نفسه، ص:41.

وفي قصيدة أخرى بعنوان مدرسة الثبات والتي نظمها بمناسبة تدشين مدرسة الثبات الجديدة (بقبي) يوم 1987/01/10م، وبمناسبة مرور أربعين سنة على ابتداء التعليم بمحضرة الثبات وإنشاء جمعية الثبات التي تأسست ببصرة عام 1947م.

وتعد هذه القصيدة أطول قصيدة في الديوان، مما يدل على مدى السرور والفرحة الكبيرة والسعادة العارمة إزاء هذا المكسب الهام الجماعي المشترك القائم على الدين القويم والأخلاق السوية، فكما هو معروف تاريخياً أن بجانب كل مسجد من المساجد في وادي ميزاب محضرة لحفظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ العقيدة الإسلامية واللغة العربية، وهكذا نشئت المحضرة بجانب المسجد العتيق ببصرة، وبعد تأسيس جمعية الثبات في سنة 1947م أخذت نفساً جديداً من حيث النظام والدروس والمعلمين حيث أصبحت جمعية الثبات هي الراعي الرسمي لهذه المدرسة، وسميت باسم الثبات تيمناً بقول الله تعالى: [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويظل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء]¹

كما روي عن الإمام هببة إبراهيم بن الحاج عيسى (1900-1945) أحد علماء بصرة أنه يقول لأصحابه عند احتضاره: « الثبات، الثبات، الثبات » ومن بين أهداف هذه الجمعية: العمل لوجه الله تعالى وابتغاء الأجر الأخروي ورعاية الشباب وتوجيهه للحياة العملية، التكفل بالفئات الضعيفة في المجتمع كالأرامل والأيتام وبت روح التعاون مع الآخرين كعملية التوزيع...²

يقول الشاعر فيها:

شيدوا للثبات صرحاً عتيداً واجعلوا الصرح للثبات وجوداً
واجعلوا روحه حفاظاً وعلماً واعتزازاً بفكره وصموداً
إن سئلتهم عن الثبات فقولوا كان في جبهة الزمان فريداً
بث فيه الإله طهراً ونوراً فاقتناه الرجال قلباً وجيداً

¹ - سورة إبراهيم، الآية 27.

² - عمر بن باحمد هببة: « قلب وحجر»، ص: 9.

حملته النفوس تاجا كريما	واصطفاه الشباب دربا حميداً
كان في لوحة الوجود أصيلاً	وسيبقى مدى الزمان جديداً
كان في محنة الليالي صبورا	وسيبقى لدى الكروب عنيدا
افرشوا الربيع والبلاد ورودا	واملأوا السمع نغمة ونشيدا
وابعثوا الشمس للأنام ضياء	تنشر الدفاء أو تنير الوجود
وانثري يا رياض مسكا وطيبا	يصبح العطر في الهواء شريدا
واصدحي يا بلابل الروض زهوا	املئي السمع و الفضا تغريدا
وامطري يا سماء طلا نديا	ينعش النفس يبعث التجديدا ¹

نلاحظ في هذه القصيدة كثرة التكرار للمعاني بألفاظ مختلفة على طولها مما أسهم في طولها ويفسر هذا مدى فرحة الشاعر بهذه المدرسة، كما ونجد الشاعر يفتخر بأجداده ويشير إلى المنظرين الأوائل لمذهبه فيقول في قصيدة الامتحان:

هم صفوة الناس أنى أقاموا	وهم قدوة في القنا والبيان
تغوص جذوري بالرافدين	وتشمخ بالغرب كالسنديان
بأرض العراق ينام جدودي	وفي حضرت موت وريع عمان
تطول جدوري لمشرق شمس	فتعتنق الشمس في خرسان
ويزهو فرعي في جبل	جبال نفوسة والقيرو
هكذا يصبح الثبات شعاراً	يتجلى ونغمة ونشيداً
هكذا يصبح الثبات عريناً	يحضن الشبل أو يضم الأسوداً
هكذا يصبح الثبات نظاماً	يتحدى الأعراف والتقليدا
لا غلوا ومذهبا وصراعا	لا شذوذا وحسبة وجمودا

¹ - عمر بن باحمد هيبه: « قلب وحجر»، ص:11،10.

بل ثباتا على الهدى وحفاظا يجعل الفرد مستقيماً رشيداً
يقتني من دناه ما هو خير لا يبالي إن عاش عيشاً زهيداً¹

نستخلص في هذا الجزء الذي أبدى فيه الشاعر افتخارا واهتماما كبيرا بأصل الشعب الجزائري الذي ينحدر من أصول أمازيغية وبالغتهم التي كانت قديما تقتصر على الكلام لا على التدوين، والحضارة الأمازيغية وقيمها وإشادته بأبطال الأمازيغ وانتمائه لميزاب وامتزاج العرب بالأمازيغ وتكريس اللغة الأمازيغية كإحدى العناصر الأساسية في ثلوث الهوية الوطنية الجزائرية.

خاتمة

¹ - نفسه، « قلب وحجر»، ص:14،13.

الخاتمة:

يمثل ديوان " قلب وحجر" لشاعر عمر بن باحمد هيبه مشهداً فوتوغرافياً شاملاً العديد من الأحداث الوطنية الجزائرية، فهو مصاغ من قلب غيور على بلده، ويتبين ذلك من خلال تعرضه لثالث الهوية الوطنية الجزائرية، فهو من جهة أشاد بحب الوطن الجزائري وافتخر بانتمائه لميزاب واعتز بعروبة شعبه وإسلامية عقيدته وضمود عربه وأمازيغيه لتصدي لأطماع الغزاة، ودحض كل الأفكار والمشاريع الرامية لتفرقة هذا الشعب الجبار، وصور من جهة أخرى الجانب المأساوي الذي تعرض له الوطن والذي يتمثل في العشرية السوداء التي شوهت ملامح تاريخه الحافل، كما صور عدة صور سلبت هذا الوطن جماله ورونقه كالصراعات والنزاعات الرامية إلى إقصاء معالم الهوية الوطنية الجزائرية.

واستطاع عمر هيبه أن يمارس قوميته كشاعر جزائري معاصر من خلال تعرضه وتوظيفه لمكونات الهوية الوطنية والتزامه بالقضايا القومية العربية كقضية فلسطين والعراق والتي أعطت دفعة لعجلة مسار شعره، فكان حب الوطن والدعوة لبنائه وتطويره ونبذ كل ما يطعن في شخصيته ويعكر صفو أمنه وسلامة شعبه، ومن خلال استناده على تقنيات مختلفة ميزت الشعر الجزائري المعاصر من بينها توظيف الشخصيات والعناصر التاريخية، وواقعية الوصف ودقته، إضافة إلى الصدق الشعوري، والتصوير الفني، وتعدد المواضيع والأغراض، ليمنح في الأخير لكيان الوطن وثالث الهوية كمسلمات صدارة الحدث في ديوانه ليكون هو المنطلق والنهاية.

ختاماً نتمنى أن تكون هذه الدراسة قد حققت بعض أهدافها وأجابت على إشكالاتها المطروحة بتعرضنا لتحليل تجليات كل من الإسلام والعروبة واللغة الأمازيغية في " ديوان قلب وحجر" وتتبعنا أبعاد توظيفها فنياً وجمالياً والكشف عن أهمية الخطاب الشعري عنده تتمركز حول الوطن الجزائري

ولا ندعي في ذلك إماما بجوانب الموضوع فالديوان لا يزال ثريا بمختلف المعاني والدلالات التي تنتظر
القراءة والتأويل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

- 1- عمر بن باحمد هيبه: «قلب وحجر»، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد، غرداية الجزائر، 1426هـ/2005م.
- 2- الزمخشري، جار الله أبو قاسم محمود: «أساس البلاغة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ب)، ط3، (د.ت).
- 3- الفيروز آبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد: «المحيط»، دار الحديث القاهرة، (د.ب).
- 4- مجمع اللغة العربية: «الوسيط»، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة مصر، 2011.
- 5- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المغرب بيروت لبنان، ط2، (د.ت).
- 6- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 7- بحیصة كريمة، شعر الطفولة في الأدب الجزائري ديوان أغنيات البراءة لعمر هيبه، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة غرداية، 2015/2016.
- 8- رفيق حصير، الأمازيغية والأمن الهويّاتي، في شمال إفريقيا، دراسة حالة الجزائر والمغرب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص دراسات متوسطة ومغربية في التعاون الأمن، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012/2013.

قائمة المصادر والمراجع

- 9- سارة عياش، انعكاسات العولمة على الهوية الثقافية عند محمد عابد الجابري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، الفلسفة الاجتماعية، جامعة 8 ماي 2016، 2017/1945.
- 10- صبحي حماوي وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2 (د.ت)
- 11- عثمان سعدي، البربر الأمازيغ عرب عاربة، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2018. عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، ط1، 1410هـ/1989م.
- 12- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعرف، (د.ط)، (د.ب)، 1999.
- 13- عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008.
- 14- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، (د.د)، (د.ط) الجزائر، 2007.
- 15- محمد خالد التهانوي، كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تح/رفيق العجم، وعلي دحروح، (د.ط)، ج1،
- 16- محمد الحسن الددو الشنقيطي، دروس الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، المكتبة الشاملة، الحديثة ج1، (د.ب)، (د.ت)
- 17- محمد خالد عمر، الهوية وتفاعل العروبة والإسلام، مقال علمي (د.ب)، (د.ت)
- 18- محمد عبد العزيز الشايعي، القومية في ميزان الإسلام، جامعة الإمام بن محمد بن مسعود الإسلامية، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، المملكة العربية السعودية، 2010.
- 19- مسعود خرازي، المنجز الشعري المعاصر واتجاهاته بمنطقة غرداية، ملة الذاكرة، العدد5، غرداية.
- 20- محمد ميورينغ، الدلالة الصوتية، في ديوان قلب و حجر عمر هيبه، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تعليمية اللغة العربية، جامعة أدرار أحمد دراية، 2018/2017.
- 21- نجيب وهبه، الموسوعة العربية في النحو والصرف والبلاغة والإلقاء، مطبعة الخلاص، (د.ت)، (د.ب) .

قائمة المصادر والمراجع

22- يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، (د.د)، (د.ت)، (د.ب).

23- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، (د.ط)، 1999.

المواقع الالكترونية:

ياسين جبار الدليمي، العروبة أو القومية العربية، دار الراصد، مجلة مستقلة منبثقة من أمانة الشؤون

الإعلامية في حركة الناصرين المستقلين - قوات المرابطون، 2013/11/1

،2020/07/7، alrassedonline.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
الصفحة	الموضوع
	إهداء.
أ - هـ	مقدمة.
الفصل التمهيدي: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية.	
10-9	أولاً: لمحة عن منطقة غرداية.
15-10	ثانياً: الشعر الجزائري المعاصر في منطقة غرداية.
17-15	ثالثاً: مفهوم الهوية.
الفصل الأول: التعريف بالشاعر و أهم نشاطاته ومؤلفاته وقراءة في ديوان "قلب وحجر"	
24-23	المبحث الأول: التعريف بالشاعر.
26-25	المبحث الثاني: أهم نشاطاته ومؤلفاته.
35-27	المبحث الثالث: قراءة في ديوان "قلب وحجر".
الفصل الثاني: تجليات الإسلام والعروبة واللغة الأمازيغية والخصائص الفنية في ديوان "قلب وحجر"	
52-37	المبحث الأول: تجليات الإسلام في ديوان "قلب وحجر".
64-53	المبحث الثاني: تجليات العروبة في ديوان "قلب وحجر".

75-64	المبحث الثالث: تجليات اللغة الأمازيغية في ديوان "قلب وحجر".
110-109	الخاتمة.
114-112	قائمة المصادر والمراجع.
117	فهرس المحتويات.